أسُس التفاهم
بين
الرجـل والمرأة

تأليف
د. هناء تميم العابد

دار رواد المجد
دار العصماء

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1445هـ 2024 م

يمنع طبع هذا الكتاب أو أيّ جزءٍ منه بكلّ طرق
الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل الحاسوبي.. وغيرها
إلّا بإذنٍ خطّيٍّ من دار العصماء

فرع أول: سورية - دمشق - برامكة - جانب دار الفكر
قبل مشفى التوليد - دخلة الحلبوني
هاتف: 2224279 11 00963 - تلفاكس: 2257554 11 00963
فرع ثاني: دمشق - ركن الدين - السوق التجاري
جانب مجمع الشيخ أحمد كفتارو
هاتف: 2770433 11 00963 - تلفاكس: 2752882 11 00963
ص.ب: 36267 - موبايل: 349434 944 00963
E-mail: info@daralasma.com
الموقع الالكتروني: www.daralasma.com

مقدمة

لماذا يعج مجتمعنا بالمشاكل؟

لماذا لا يكاد يخلو منزل من الصراعات؟

ولماذا نشعر أن التفاهم بين أفراد الأسرة بات صعباً للغاية؟

ولأن لا أحد منا يتمتع بالكمال، فلابد أن سلوك كل إنسان منا جزء من المشكلة.

من يملك التواضع الكافي ليعترف أنه يمكن أن يكون مساهماً في المشكلة هو من يمكن أن يستفيد من هذا الكتاب. ومن يظن أنه فوق مستوى الخطأ فلن يتعلم من أي كتاب.

ولكل أولئك الذين يريدون أن يجعلوا حياتهم أفضل أقدم هذا الكتاب الذي تم تدريسه للطلاب والطالبات على مدى سنوات، وعبروا عن الفائدة التي وجدوها من جراء فهم معانيه. أرجو أن تعم الفائدة وتصل إلى كل من يبحث عنها.

والحمد والشكر لله من قبل ومن بعد.

د. هناء العابد

Hana.abed@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

مصدر واجبات المرأة ومساواة القيمة الإنسانية

١. هدف الحياة المشترك بين الرجل والمرأة: العبودية لله تعالى:

أولاً: مخلوقان عجيبان:

الرجل والمرأة مخلوقان يحملان من الميّزات والقدرات ما يثير العجب، فالبرغم من أن الله ﷻ قد أوجدهما كنوع بشري واحد، إلا أنه قد خلقهما بطريقتين مختلفتين ومن مادتين مختلفتين:

آدم ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر ٢٨).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ (المؤمنون ١٢).

حواء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (النساء ١)، يقول العلماء: خلقها منه وأخرجها منه كما تخرج النخلة من النواة أو النبتة من البذرة.

ثانياً: مقارنة ميّزات وصفات يتميّز بها كلٌ من الرجل والمرأة:

وبالنظر إلى اختلاف أصل كل منهما وبالنظر للتجربة العملية عبر العصور ، فإننا نلاحظ نموذجاً متكرراً عند معظم النساء ونموذجاً متكرراً عند معظم الرجال، وهي أدوات وقدرات وميّزات تميّزه عن الآخر كما يلي:

أ- صفات جسدية:

*** عند الرجل:**

١/ . ضخامة الجسم في الحجم: الكتلة العضلية أعلى من الكتلة العضلية لدى المرأة بنسبة ٨٪.

٢/ . قوة العضلات والبنية بشكل عام أعلى من قوة المرأة لتحمل أعمال الجهد العضلي

٣/ . قوة القلب وسرعة النبض: ينبض قلب الرجل بين ٧٠ و٧٢ مرّة في الدقيقة الواحدة.

٤/ . تركز القوة الجسدية والعرض في الجزء العلوي من الجسم: الكتفان والصدر والذراعان .

٥/ . عملية الأيض وحرق الدهون سريعة لإنتاج الطاقة الجسدية المطلوبة.

٦/ . الجلد سميك ويحتوي على مستوى أعلى من الكولاجين مما يعين على بطء ظهور التجاعيد وتحمّل عوامل الطقس الصعب، مما يعطي الجسم صلابة أعلى من المرونة.

٧/ . قوة الصبر والجلَدَ في تحمّل عوامل الطقس الصعبة.

*** عند المرأة:**

١/ . صغر حجم الجسم: الكتلة العضلية أقل في حين تزيد الكتلة الدهنية ١١٪ عن الرجل.

٢/ . قوة العضلات والبنية: القوة الجسدية للمرأة تعادل ثلثي قوة الرجل.

٣/ . قوة عضلة القلب في حين أنّ قلب المرأة ينبض بين ٧٨ و٨٢ مرّة، مما يناسب احتياجها لإنتاج الدم شهرياً والحمل والولادة.

٤/ . تركز القوة الجسدية والعرض في الجزء السفلي من الجسم: الحوض والوركان.

٥/ . عملية الأيض وحرق الدهون أبطأ من الرجل للاحتفاظ بالدهون.

٦/ . الجلد رقيق ويحتوي على مستوع أعلى من الإيلاستين لإكساب المرونة العالية والرقة في التعامل مع الأطفال.

٧/ . قدرة عالية على تحمل الألم والإجهاد الجسدي خاصة آلام الحمل والولادة.

ب- صفات عقلية:

*** عند الرجل:**

رغم أنه لا فرق تشريحي بين دماغ الرجل ودماغ المرأة (سوى في الحجم المتناسب مع حجم الجسم)، لكن الدماغ يعمل بشكل مختلف عند كل منهما، مما ينسجم مع العمل الذي يكلف به الإنسان.

١/ . المهارة العالية في تخصصات الرياضيات والعمليّات الحسابيّة المجردة.

٢/ . الاعتماد الأكبر على النصف الأيسر من الدماغ عند التّفكير، مما يعطي الرجل قدرة على التركيز على أمر واحد.

٣/ . الرؤية البانورامية للأمور والأحداث وبالتالي المهارة العالية في النظرة الشاملة المتكاملة للمشاهد.

٤/ . المهارة العالية في التعاملات المالية والاقتصاد.

٥/ . التفوق في تحديد المكان وتوصيف الطريق وقياس الأبعاد المكانية والربط بينها بشكل ذهني مجرد.

٦/ . الاعتماد على المنطق وتحليل البيانات في فهم ما يدور من حوله بشكل عام.

٧/ . مهارات القيادة وتوجيه المجموعات والتصور السياسي لإدارة المجتمعات.

*** عند المرأة:**

١/ . المهارة العالية في تخصصات العلوم الحيوية.

٢/ . الاعتماد على تشغيل نصفي الدماغ الأيسر والأيمن معاً، مما يوصل لكفاءة عالية في التواصل.

٣/ . مهارة عالية وسرعة في تعلّم الكتابة والقراءة واللغات.

٤/ . التفوق في وصف التّجارب وتفاصيلها بسبب الإهتمام بالدقائق وتفاصيل الأمور والتركيز على العديد منها في وقت واحد.

٥/ . كفاءة عالية في إدارة شؤون المنزل وتوجيه الأفراد.

٦/ . الاعتماد على الحدس في فهم ما يدور من حولها بشكل عام.

٧/ . مهارة التواصل والقدرة على توزيع المهمات ضمن المجموعات واستلهام الحلول والتقاط الإشارات العاطفية والانفعالات.

ج- صفات نفسية:

*** عند الرجل:**

١/ . الحساسية العالية تجاه متطلبات العمل في الطبيعة خارج المنزل.

٢/ . القوة النفسية في تحمل صعوبات العمل والقيادة الأسرية والمجتمعية.

٣/ . التفوق في السيطرة على الانفعالات والعواطف وتغلّب الناحية العملية على العواطف.

٤/ . كفاءة عالية في مواجهة الصعاب وقيادة الأحداث وجرأة ارتياد المخاطر.

٥/ . عند مواجهة مواقف التوتر والضغط النفسي، عادة ما يستخدم الرجل خطة "هاجم أو ابتعد" مما يساعده بالحزم في قيادة المنزل أحياناً، وعدم الدخول في تفاصيل الأمور أحياناً أخرى.

*** عند المرأة:**

١/ . الحساسية العالية تجاه متطلبات الطفولة.

٢/ . قدرة على تحمل ومعالجة العواطف العميقة والسريعة.

٣/ . قدرة نفسية على الصبر ومعالجة شؤون المنزل الروتينية المتكررة يومياً

٤/ . عند مواجهة مواقف التوتر والضغط النفسي، عادة ما تستخدم المرأة خطة "استسلم أو كوّن علاقة صداقة" مما يساعد على تكوين العلاقات وتربية الأبناء.

٥/ . مرونة وقدرة على التراجع في المواقف التي تتطلب الرجوع خطوة ثم الكر والفر مجدداً.

ولننظر إلى الأدوار المناطة بكل من الرجل والمرأة والمُستنتَجة من الآيات الكريمة:

ثالثاً: أدوار الرجل والمرأة:

*** أدوار الرجل:**

وهي المهمات التي يبرع فيها معظم الرجال بشكل يقارب العبقرية، أكثر مما تفعل المرأة:

١- الشؤون المالية:

١) تحصيل المال والإنفاق على أفراد الأسرة: يتمتع الرجل بقدرة فائقة على الصبر على الصعوبات المترافقة مع تحصيل المال والإطلاع بمسؤولية الإنفاق على الأسرة طوال الحياة بالعمل والكد وجلب المال.

٢) القيام بمعظم المهام الخارجية: وهي المهمات التي يقوم بها الرجل خارج المنزل، ومما نراه عملياً أن بقاء الرجل داخل المنزل يشكل مصدر انزعاج وملل بل وقلق للرجل، كثيراً ما ينعكس على من هم حوله.

٢- الشؤون السياسية:

١) قيادة وحماية الأسرة وأفرادها: وهي القوامة المتعلقة بقيادة أفراد الأسرة بشكل عام وتوجيهها نحو ما يعود بالخير على أفرادها وما يحميهم من أي أذى أو ضرر متوقع من أي نوع.

٢) تعليم أفراد الأسرة، خاصة النساء: نظراً لخروج الرجل اليومي من المنزل ومعالجته للعالم الخارجي وحضوره للدروس الأسبوعية في صلاة الجمعة، فإن فرصته للتعلّم قد تكون أكبر من فرصة المرأة التي تقرّ في بيتها لتعتني بشؤونه، وهذا يرتب على الرجل مهمة تعليم زوجته وبناته مما تعلمه.

٣) المشاركة في القيادة المجتمعية وفقاً للحاجة (اختياري): وهي مشاركة الرجل التي تبرز عند الحاجة إليها في مجتمعه، فقد يكون هناك حاجة للمساهمة في التطوير بشكل أو بآخر، سواء كان ذلك في العائلة الكبيرة أو البناء أو الحي.

*** أدوار المرأة:**

وهي المهمات التي تبرع فيها معظم النساء بشكل يقارب العبقرية، أكثر مما يفعل الرجل:

١- الأمومة:

١) تربية الأطفال: وهي أحد الأسباب التي من أجلها تنشأ الأسرة أساساً: إنشاء أفراد ناجحين أصحاء أسوياء نفسياً وعقلياً وجسدياً، ومرتبطين بالله تعالى روحياً. وهذه المهمة تتطلب مهارة وصبر وحكمة عالية تتمتع بها المرأة غريزياً، ليس فقط لأطفالها بل للأطفال بشكل عام.

٢) تقديم الدعم النفسي والعاطفي للأسرة: وهذا ما تبرع به المرأة تجاه من يحتاج هذه المعونة النفسية والعاطفية.

٢- الشؤون المنزلية:

١) إدارة شؤون المنزل وشؤون أفراد الأسرة، خاصة في غياب الرجل: الشؤون الداخلية للمنزل كثيرة وفيها من التفاصيل لكل فرد من أفراد الأسرة كباراً وصغاراً ما يتطلب الكثير من الصبر والجلد والمتابعة.

٢) القيام بمعظم المهام الداخلية في المنزل (اختياري): وهي مهام تحضير الطعام والتنظيف والترتيب وغيرها مما تقوم به النساء في المنزل، وهي مهام اختيارية بمعنى أنها بالرغم من كونها هامة لبيئة صحية في المنزل، إلا أنها يمكن أن يقوم بها غيرها في حال انشغالها بالمهام الأخرى ذات الأولوية، خاصة تربية الأطفال.

لا تعني هذه الأدوار أنه لا يوجد رجل قادر على أداء بعض مهام المرأة (عدا الإنجاب!) ولا أنه لا يوجد امرأة قادرة على أداء مهام الرجل، لكن الرجل يبرع في أداء أدواره لأنه من ضمن برمجة فطرته فيؤديها بيسر وتلقائية ودون تدريب مسبق أحياناً، وكذلك الحال عند المرأة. أما العكس فيكون هو الاستثناء وليس القاعدة، فإن وجدنا امرأة تظهر عبقرية في الاقتصاد والسياسة فلا نستطيع استخدام حالتها لنقض القاعدة الأساسية، وكذلك إن وجدنا رجلاً عاطفياً جداً فلا يعني ذلك أن خطأ القاعدة، بل هو استثناء. في الواقع، المرأة بحاجة إلى كل تلك الميزات والصفات كأدوات تستخدمها لأداء دورها، وكذلك الرجل، تكامل وتناغم وكلٌ ميسرٌ لما خُلق له، وهذه الأمور لا تتغير بتغير الزمان والمكان لأنها تتحدث عن طبيعة بشرية ثابتة، وهذا ما يسمى النوع الاجتماعي، فهو متعلق بالطبيعة البشرية الثابتة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان. وقد بنى الله تعالى أدوار النوع الاجتماعي في الإسلام بالطريقة الوحيدة التي تناسب الطبيعة البشرية، ولذلك فهي تحمل الحلول لكافة المشاكل الإنسانية والاجتماعية والنفسية

والفكرية، وقد ثبت بالتجربة أن كل الطرق المغايرة للإسلام لم تحمل حلولاً ناجعة، كما سنرى لاحقاً.

إن ترتيب الله تعالى للأدوار مبنيٌ على الأدوات، وهذا ما يحمل الحلول لكافة المشاكل الإنسانية الاجتماعية والنفسية، فأدوار الرجل عموماً تتطلب وجود الصفات الجسدية والعقلية والنفسية التي يتميّز بها معظم الرجال، وكذلك أدوار المرأة عموماً تتطلب وجود تلك الصفات في معظم النساء. وهذا يبرهن على أن الله ﷻ عندما يكلّف الإنسان بأمر ما، فإنه تعالى بحكمته يعطيه أيضاً القدرات والأدوات اللازمة لتنفيذ هذه التكاليف والمسؤوليات، وهذا ليس تفضيلاً لجنس على الآخر ولكن ليتمكّن كلٍ من الرجال والنساء من القيام بمسؤولياتهم التخصصية على أكمل وجه، والتي تتحقق من خلالها المهمة الأساسية المشتركة بين الرجال والنساء: أن يقوم كل فرد من البشر بأداء مهام الخلافة على الأرض: وهي أن يتعرف على الله ﷻ ويكون خليفته على الأرض في نشر الخير والعدل خلال فترة حياته، والتي هي فترة اختبار لإتمام هذه المهمة الأساسية التي خُلق الإنسان من أجلها.

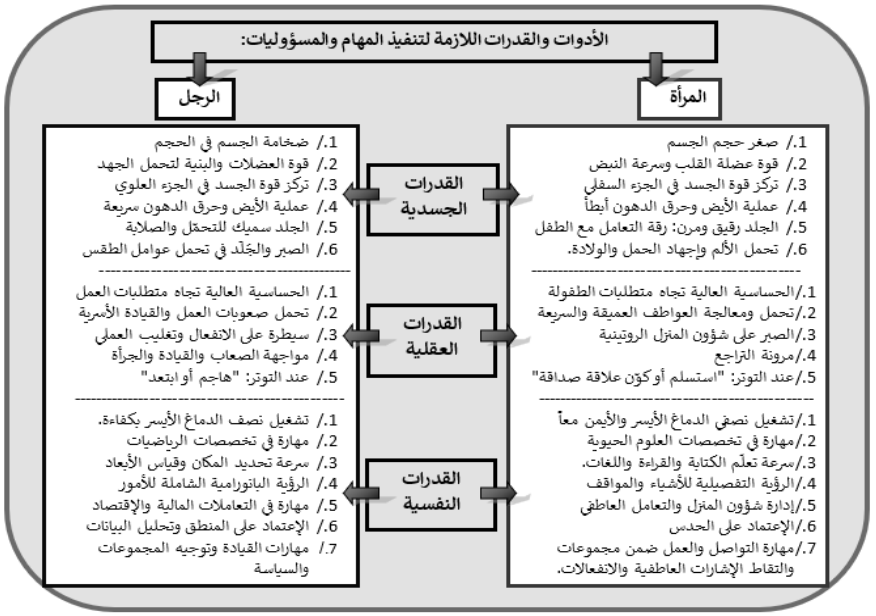

الإنسان لم يُخلق من أجل مال ولا زواج ولا إنجاب ولا منصب ولا علوم دنيوية، ورغم أن هذه الأشياء المذكورة هامة والرغبة فيها فطرية في طبيعته، إلا أنها ليست الهدف الذي خُلق الإنسان لتحقيقه، بل هي مجرد أدوات خُلقت له ليحصل على استقرار نفسي واجتماعي يمكنه من تحقيق الهدف الأساسي من حياته: التعرّف على الله ﷻ ليصل إلى العبودية الحقيقية له وينشر الخير على الأرض في سبيله، ويتجهّز للقائه ﷻ بما يحب ويفوز برضاه وجنته في الحياة الأبدية.

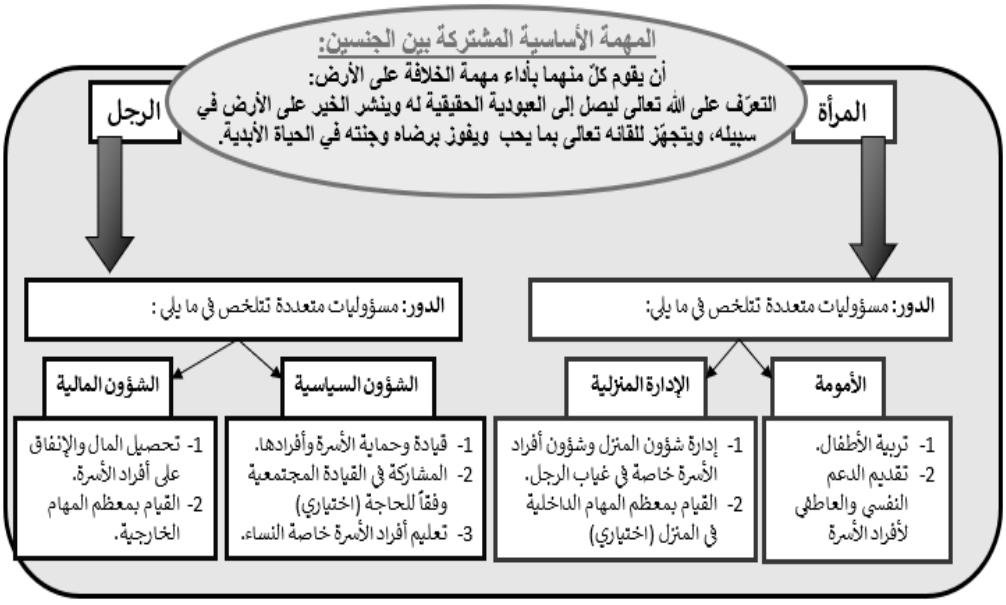

رابعاً: هدف الحياة المشترك بين الرجل والمرأة:

هدف الحياة المشترك هو الهدف الذي من أجله خلق الإنسان بجنسيه: الرجل والمرأة. الإنسان خُلق أساساً لهدف واحد وهو المذكور في الآية الكريمة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٦). فالمهمة الأساسية المشتركة للرجل والمرأة هي أن يقوم كل منهما بأداء مهام الخلافة على الأرض، بأن يتعرف كل منهما على الله تعالى، وينشر الخير لكل ما خلق الله على الأرض خلال فترة حياته على الأرض. فالحياة لكل منهما هي فترة اختبار، ونجاحهما فيها هو دليل يعود كل منهما به إلى الله تعالى للبرهنة على حبه لله وعمله في سبيله

وجهده في الحصول على رضاه عزّ وجلّ، فيتغمده الله بالرحمة ويدخله موطنه الأصلي: الجنة.

فالعبودية لله لا تتعلق بذكورة أو أنوثة، ولا تختلف بين الجنسين، بل هي تتعلق بالإنسان بشكل عام. وواجبات الشريعة الإسلامية على كلٍ من الرجل والمرأة مصدرها شيء واحد: عبوديتهما لله تعالى، والتي هي أول أركان الدين الإسلامي، وأهم مستلزمات اليقين بالله عز وجل. والعبودية فرع من المملوكية، فالرجل والمرأة كلاهما مملوك لله ، ومن ثم فإن عبوديتهما لله واحدة في حقيقتها وقدرها، ولا تفاوت بينهما فيها.

٢. المساواة في القيمة الإنسانية والمساواة في الحقوق والواجبات:

أولاً: مساواة القيمة الإنسانية:

إن عبودية الرجل والمرأة لله واحدة ولا تفاوت بينهما فيها، فهذه العبودية مبنيّة على مساواة القيمة الإنسانية بينهما. هذا يعني أن قيمتهما كبشر متساوية، لا يزيد أحدهما على الآخر، وهذا من تمام عدل الله تعالى بين مخلوقين اثنين يحملان تكليفاً واحداً بعبادة الله وحده، ويتمثل ذلك في أن الواجبات التي كلف الله تعالى بها عباده الرجال هي نفسها التي كلّف بها إماءه النساء، وكثيراً ما يعبر عن هذه الواجبات بحقوق الله عز وجل، ومن ذلك ما رواه مسلم بسنده من حديث معاذ أن رسول الله ﷺ قال: "حق الله على العباد أن يُعبد ولا يُشرك به شيء. وحق العباد على الله إذا عبدوه ولم يشركوا به شيئاً أن لا يعذبهم". فقد جمع هذا الحديث بين الحقوق والواجبات معبّراً عن الأولى بحقوق العباد وعن الثانية بحقوق الله. ويتفرّع عن كل منهما أحكام كثيرة، وكل ما نقرؤه في الشريعة الإسلامية من الأحكام إما تراه داخلاً في حقل الواجبات أو في حقل الحقوق. وكلمة العباد هنا ليست خاصة بالرجال أو النساء، بل هي شاملة للنساء والرجال

على حد سواء. وهذا يعني أن إضفاء قيمة إنسانية إضافية على أحدهما دون الآخر يعدّ خطأً خطيراً لسببين:

١- لأنه يعني ضمنياً أن الله تعالى متحيز لفئة دون أخرى حاشاه عز وجل أن يتصف بالتحيز أو الظلم، ومن العادل سوى الله؟ إنما التحيّز والظلم هو شأن البشر الضعفاء لا صفة الإله جلّ وعلا، فالبشر قد يشعرون بالحاجة والرغبة بالتحيّز إلى فئة ما، ومحاباة فئة دون أخرى، لعلمهم بقوة هذه الفئة ولضمان السلامة، أو لأنها تعجبهم أكثر من غيرها، والله تعالى أجلّ وأعظم من هذه الصفات البشرية الضعيفة، بل إن القناعة بالتحيّز الإلهي كفر، تنزّه الله جل وعلا عن ذلك. فلينتبه من يظن نفسه قد خُلق أفضل من غيره، بحجة لون أو عرق أو جنس، وليعلم بأنه لو كان ذلك صحيحاً لما كان التكليف بعبادة الله متساوياً ولما كان الإله عادلاً، وأيّ تشوّه في العقيدة أسوأ من أن نؤمن أن الإله غير عادل؟

٢- لأن الكبر هو الذنب الأكبر الذي اقترفه الشيطان عندما قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ (ص٧٦) وهو ذاته ذنب الخاطئين من اليهود والنصارى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (المائدة ١٨). ومن المهم أن نتذكر أن هذا الذنب يوصل الإنسان للمهالك في الدنيا والآخرة، فالكبر يحجب عن الله تعالى، حيث يبدأ بفكرة: "أنا خير منه" وتنجذب لها النفس الأمارة بالسوء التي تحب الفخر والتفاضل وأن تكون في المكانة العليا ، ثم تأتي أفكار الأسرة (دلالها لأبنائها وتعزيز فكرة العظمة) فتتأصل في التفكير بحيث لا يصدر عن المرء إلا أحكاماً مشوهة مبنية على وهمِ الكبر الذي رسمه الشيطان وزيّنه ليبث بين الناس ظلماً

وكوارث لا يعلمها إلا الله. وهذا هو الفخ الذي وقعت فيه مجتمعات عديدة، فالمجتمعات الغربية تراوح بين اتجاهين: فهم تارة يهينون المرأة ويستخدمونها للترويج لبضائعهم، وقد تكون هي نفسها سلعة تباع علناً لأغراض المتعة، وتارة يقدسونها ويعلنون في دراساتهم أنها الأعلى مكانة وقدراً وأنها مركز الكون وسر الحياة. بينما الإسلام يرفض الاتجاهين، فلكل من الرجل والمرأة مكانة عظيمة عند الله تعالى لكونهما بشر عاقل قادر على الاختيار بين الخير والشر. وبذلك يكون تساوي المرأة والرجل في الإنسانية وصفة العبودية لله يستوجب تساويهما في الواجبات والحقوق، أي أن لكل منهما حقوق وعلى كلٍ منهما واجبات بنفس الأهمية والقدر، رغم اختلاف طبيعة الحقوق والواجبات.

ثانياً: المساواة في الحقوق والواجبات:

● إن الكرامة التي يقررها الإسلام للمرأة جزء لا يتجزأ من الكرامة التي قررها لبني الإنسان أجمع عندما قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء٧٠)، إذ المرأة والرجل كلاهما من ولد آدم.

● أكد الإسلام هذه الكرامة لكل من الرجل والمرأة على حد السواء عندما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات١٣).

● أجور الأعمال الصالحة للرجل والمرأة واحدة في الكم والقيمة، وليس للذكورة أو الأنوثة تأثير على الأجور، إذ قال: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ (آل عمران ١٩٥).

● الحقوق متساوية: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (البقرة ٢٢٨). وسيأتي تفسير هذه الدرجة لاحقاً في هذا الكتاب إن شاء الله.

٣. علاقة المرأة بالعلم الشرعي:

لابد لكل عامل من أدوات، وكلما تعقد العمل تعقدت الأدوات وأضحت أكثر تخصصاً. وكما تحدثنا سابقاً حول أدوار الرجل والمرأة فإن النجاح في أداء هذه الأدوار يستلزم حصول كل منهما على مهارات تتعلق بكيفية استخدام قدراتهما الفطرية للوصول إلى النجاح في مهمة الحياة التي أرسلهما الله تعالى من أجلها إلى الحياة على الأرض. وهل هناك مصدر علم موثوق مضمون في شرح طبيعة الإنسان ومهمته وما يحتاجه أكثر من خالق هذا الإنسان؟

لاشك أن بناء الأساس العقلي والجسدي والنفسي للإنسان الذي سيعينه على فهم هدف وجوده وأدائه لدوره في الحياة خطير الأهمية بحيث لا يُحدده إلا الله تعالى، القادر على معرفة الطريقة التي يتمكن من خلالها البشر من النجاح، وهذه الطريقة مشروحة بكل تفاصيلها التي احتاجها الإنسان قديماً، وسيحتاجها في المستقبل، في العلوم الشرعية التي هي فرض عين على كل إنسان (الرجال والنساء) ومن مصلحته ان يستخدمها في تحقيق هدفه وعبوديته لله تعالى.

بناءً على ذلك فإنه من مصلحة المرأة أن تفرض على نفسها، حتى إن لم يفرض الله تعالى عليها، تعلّم العلوم الشرعية التي تشرح لها طريقة النجاح في اختبار الحياة. لابد للمرأة من أن تتعرف على مكانتها كإنسان كرمه الله تعالى وله هدف وجود، فهي لم تخلق عبثاً، ولابد لكل امرأة أن تعرف المواهب الموجودة فيها لغرض معين فتستفيد منها وتفيد غيرها وبذلك تتحقق خلافتها على الأرض. لكن المرأة لن تتمكن من فهم هذا الغرض قبل أن تفهم كلام الله في القرآن الكريم وكلام رسوله ﷺ في الحديث الشريف حول مكانتها وأدوارها وعلاقتها بالله والمخلوقات. لن تتمكن المرأة من أداء دورها في الخلافة على الأرض دون أساس فكري يرتكز على فهم علوم القرآن الكريم والسنة المطهرة بشكل عميق

صحيح. ولذلك على المرأة الواعية بمصلحتها أن تدرك أن نجاتها في الدنيا والآخرة هي بالعلم الصحيح العميق لمختلف العلوم، وعلى رأسها العلوم الشرعية. فلا تظني، أختاه، أن العلم الشرعي فرض عينٍ على الرجل وحده، بل هو فرض عين على كل امرأة أيضاً، بعلومه المتعددة وليس فقط حفظ القرآن الكريم، لكي لا تُحرمي النجاح في الدنيا والآخرة.

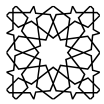

الفصل الثاني

الفروقات النفسية والفكرية بين الرجل والمرأة

١/ . فوائد التعرف على الفروقات الفكرية والنفسية بين الجنسين:

مع ضغوط متزايدة في الحياة اليومية والتوقعات العالية بين الأزواج، يمثّل النجاح في العلاقات اليوم تحدياً للجميع. غير أن فهم طبيعة الجنس الآخر، سواء كانت العلاقة التي تربط الطرفين والدية أو أخوية أو زوجية، سيجعلك أكثر تسامحاً وتغاضياً، ليس بمعنى القبول السلبي بل بمعنى الاستبصار الحقيقي الذي يجعل حياتك أكثر استقراراً. وليس الهدف من ذلك أن تحاول تغيير شخصية الطرف الآخر ولا عقله، فهذا شأنه الخاص الذي لا يمكن حدوثه إلا برغبة حقيقية منه شخصياً، غير أن شأنك أنت هو تغيير طرق التواصل وردود الأفعال. ومن فوائد التعرف على الفروقات المذكورة وفهمها ما يلي:

١- الحصول على حكمة أكبر في توجيه العلاقات بشكل سلس وحياة أنجح وأهنأ.

٢- التوازن بين تقدير الذات ولوم الذات: شكر الله على حُسن الخَلق والتقويم ثم تصحيح الخُلُق والسلوكيات الخاطئة.

٣- التعرف على طرق أفضل للتعامل مع الجنس الآخر وفهم دوافعه، والتوقف عن لومه والسعي لتغييره.

٤- زيادة الثقة المتبادلة بين الطرفين والتعاون على خفض الاستياء المتراكم بينهما.

٥- اكتشاف وسائل جديدة لتحسين التواصل وحل مشاكل سوء التفاهم ومن ثم تجنبها في المستقبل.

٦- تخفيف الضغوط النفسية وتقديم مقترحات عملية لتقليل الإحباط وخيبة الأمل.

٧- تحقيق التفاهم المطلوب لاستمرار الحياة والنجاح في تحقيق الأهداف الشخصية ثم الأسرية.

٨- تحقيق الاستقرار في الأسرة للحصول على أجيال سوية نفسياً ضمن ظروف الضغط النفسي والفكري

٩- الوصول إلى معاني الحب الحقيقي من المودة والرحمة بين الزوجين.

١٠- تحقيق الهدف من الزواج وهو السكينة وتفريغ القلب من الهموم ليتمكن من التركيز على هدف الحياة الأكبر: التعرف على الله تعالى.

٢/ . الفروقات الفكرية والنفسية بين الجنسين وأمثلة عليها:

بالرغم من المساواة في القيمة الإنسانية بين الرجل والمرأة، إلا أنه من غير الواقعي أن نقول أنهما متساويان فكرياً ونفسياً، حيث تؤكد الدراسات الفكرية والنفسية والتجارب العلمية أن النساء تختلف عن الرجال في التفكير ومن ثم السلوك.

ومع أن كل شخص كائن فريد من نوعه، إلا أننا نلاحظ صفات مشتركة بين معظم النساء، وسبب هذه الصفات المشتركة هو التركيبة الدماغية المشتركة بين النساء والهرمونات التي تُفرز في جسد المرأة والتي ينتج عنها طرق تفكير ومن ثم سلوكيات معينة. وكذلك الأمر عند الرجال، فهناك صفات مشتركة عند معظمهم، سببها التركيبة الدماغية المشتركة والهرمونات المفرزة.

عندما يتزوج الإنسان، كثيراً ما يعتقد بسذاجة أنه مستثنى من المشكلات التي واجهتها أمه وأبيه، وأنه سيعيش في سعادة للأبد. لكن الواقع يرينا أن مسؤوليات الحياة اليومية والروتين تجلب المشاكل بشكل ما، ويتراكم الاستياء ويتعطل التواصل وينتج الجفاء والكبت، ويضيع الحب مع الأيام. والحقيقة أن السبب

الرئيسي هو أننا نتوقع من الجنس الآخر أن يشبهنا ونفترض أنه يفكر مثلنا. ولكن عندما يكون كلٌ من الرجال والنساء قادرين على أن يفهموا اختلافاتهم ويحترموها، ستكون هناك فرصة ليتفاهما ويعيشا بسلام أكبر.

مثال: غالباً ما يشكو الرجال: "إنها تبالغ في رد الفعل! إنها تختلق المشاكل من لاشيء! مهما أفعل لإرضائها لا يبدو كافياً لإسعادها". وغالباً ما تشكو النساء: "إنه لا يصغي إلي! إنه أناني! أنا أعطي الكثير ولكني لا أحصل على مقابل. لم يعد لدي المزيد لأعطيه!" وكثيراً ما يميل الطرفان للاستسلام. لكن في الواقع ما يحصل هو أن الرجال يتوقعون خطأ أن النساء يفكرن ويتواصلن بالأسلوب الذي يتبعه الرجال، والنساء يتوقعن من الرجال أن يفكروا ويتواصلوا بأسلوبهن، غير أن الطرفان ينسيا أن الرجال والنساء مختلفين، مما يهيئ كلاً منهما لخيبة الأمل مرة بعد مرة، وصراعات غير ضرورية.

أظهرت دراسة واقعية ضمن بحث علمي في علم النفس على ٢٥,٠٠٠ شخصاً من الجنسين، أن حوالي ٩٠٪ منهم تعرفوا على مواصفات متقاربة ضمن مجموعة جنسهم. ومن الطبيعي أن توجد نسبة من الاستثناءات، غير أنها النسبة الأقل، في حين أن الغالبية تتعرف على هذه المواصفات في ذاتها. ونحن هنا لن نقيّم الصفات ونحكم عليها بالصح والخطأ، ولكننا ببساطة سنوضح مدى الاختلافات وأسباب سوء التفاهم عندما تنشأ الخلافات التي غالباً ما تظهر تحت الضغوط. الضغوط والمشكلات حتمية لكنها إما أن تسبب التباعد بين الطرفين أو التقارب وتعميق العلاقة ونمو الحب والرعاية المتبادلة والثقة. إذاً، لنتعرف على هذه الفروقات:

١. مفهوم الذات عند الرجل وعند المرأة:

الرجل يفهم ذاته ويحددها عن طريق قدرته على تحقيق النتائج. فهو يشعر بذاته بشكل رئيسي من خلال الإنجاز لكونه يمجّد القوة والكفاءة لذلك فهو

يحاول دوماً أن يبرهن عن نفسه بالإنجاز مستقلاً عن غيره ودون مساعدة أحد ليشعر بذاته والرضا عن نفسه. وبالتالي فإن تقديم النصيحة له دون أن يطلبها يعني بالنسبة له أن الآخرين يرونه لا يستطيع القيام بالعمل بنفسه فهو ضعف يؤثر على مفهوم الذات وتقديرها. هو يحب معالجة مشاكله بنفسه دون إشراك غيره، فهو يريد أن يشعر أنه قادر على إنجاز المهمات، وأن يتقبّله الطرف الآخر دون نصائح. أما عندما يحتاج إلى خبير فإنه يعتبرها حالة استثنائية يستطيع أن يتحدث فيها عن المشكلة ولكن فقط للخبير. هذا التفكير هو ما يجعل الرجل يبادر إلى تقديم الحلول عندما تتحدث المرأة عن مشكلاتها، فهو يحب أن يشعر أنه حلاّل المشاكل ويفترض خطأ أنها تبحث عن نصح الخبير فينصحها لأنه يريد بفطرته أن يكون نافعاً لتشعر هي بالتحسن فيشعر هو بتقدير ذاته. أما إذا استمرت في ضيقها فهو يرى أن حلوله السابقة قد رُفضت ويشعر أنه غير نافع ويُعرض تدريجياً عن الاستماع إليها.

أما مفهوم الذات عند المرأة فهو يتحدد عن طريق مشاعرها ونوعية علاقاتها، وهي تشعر بذاتها من خلال المشاركة والتواصل. المرأة عموماً تهتم بالعيش مع الآخرين والتعامل معهم، فالعلاقات في نظرها أهم من الإنجاز العملي.

وبالتالي فإنها ترى أن تقديم النصيحة لها طبيعي، كما أن البوح بمشاعرها والتعبير هو الأهم، وأهدافها هي في قدرتها على التواصل والإحساس بالآخر ومراعاة المشاعر والاستجابة بالعطاء لاحتياجات الآخرين.

الاحتياج للمساعدة في نظرها ليس ضعفاً وقد تبادر لاقتراح حل لمشاكل الرجل تلقائياً دون أن يُطلب منها ذلك، لأنها تعتبر ذلك دليل الحب، ولا تعتبره تهجماً. هي ليس لديها أي تصور عن حساسية الرجل هذه، فتقديم المساعدة بالنسبة لها تعاطف مشكور، بل إن عرض أحد مساعدتها فهي تسعد وتشعر أنها

محبوبة ومعززة، لأن هذه المساعدة تدل على أن علاقتها بالناس طيبة وأنها ناجحة في التواصل مع الآخرين بدليل ان هناك من يفهمها ويقدّرها ويشعر بها، سواء كان هذا الطرف الآخر امرأة أخرى أو رجل أو حتى طفل. فتعاطفها مع الغير وتعاطف الغير معها يدلها على انها تملك مهارات جيدة لصناعة علاقات المحبة ومد جسور التفاهم، وهي مهارة عظيمة بالنسبة لها وتبرهن على تميّزها.

٢. لغة التعبير عند الرجل والمرأة:

يهتم الرجل بالقدر الأكبر بالأمور الملموسة الواقعية العملية أكثر من اهتمامه بالناس ومشاعرهم ولذلك يحلم الرجل بالإنجازات المادية والاستقلال عن الغير وشراء السيارات والأجهزة التكنولوجية! وعند الكلام، يستخدم الرجل اللغة لنقل الحقائق والمعلومات بدقة دون مبالغة.

تهتم المرأة بشكل أكبر بالمشاعر والأحاسيس والمعنويات، ولذلك ترى النساء يحلمن بالحب وتبادل العواطف. وعند الكلام، تستخدم المرأة صيغ التفضيل والمجازات والتعميمات (دوماً، أبداً)، فإذا تحاور الرجل مع المرأة، وكلٌ يتحدث كما يفكر، فإن ما يقوله أحدهما ويعنيه حقاً هو عكس ما يسمع الآخر!

أمثلة:

ما تقوله المرأة (ما تعنيه)	الرسالة التي تصل للرجل	إجابة الرجل (ما يعنيه)	الرسالة التي تصل للمرأة
نحن لا نخرج معاً أبداً (تعني أتمنى أن أخرج معك اليوم)	أنت لا تقوم بواجبك	ليس صحيحاً. خرجنا من ١٠ أيام (معلوماتك خطأ)	لا أريد الخروج معك.

الكل يتجاهلني (أشعر أنك مشغول عني، كلمني قليلاً)	يجب أن تخجل من نفسك فأنت غير محب	الجميع يرونك! (معلوماتك خطأ)	كم أنت سخيفة، عواطفك في وقت غير مناسب
أنا متعبة جداً ولا أستطيع عمل شيء (أنا أحتاج لراحة)	أنا أقوم بكل شيء وأنت لا تساعدني. أنت سيء	بل أنت لست عاجزة (معلوماتك خطأ)	أنت تسيئين تقدير الموقف
لا أريد ان أفكر بعملي (أنا أحب عملي ولكني اليوم تعبة)	أنا أقوم بأشياء لا أرغب فيها وأنا تعسة معك	إذا كان عملك صعباً اتركيه (معلوماتك خطأ)	أنا منزعج من عملك وقد أخبرتك أنه سيتعبك
هذا المنزل دوما غير مرتب أشعر بتعب اليوم، هل تساعدني	المنزل غير مرتب بسببك، نظّف معي أو اخرج	لا ليس دوماً غير مرتب (معلوماتك خطأ)	لا أريد مساعدتك. هذا عملك فاعملي بصمت.
لا أحد ينصت إلي (أشعر أنك مللتَني ولم تعد ترغبني)	أنا انتبه إليك لكنك لا تنتبه إلي. أنت أناني	ألست أنصت إليك الآن؟ (معلوماتك خطأ)	ما هذا السخف؟ كلامك دوما غير واقعي
لا شيء يسير بصورة حسنة مررتُ بمشاكل أريد مساعدتك	أنت مقصر ولا تساعدني ووجودك غير مفيد.	هل تقولين اني مقصر؟ (لا ترمي أخطاءك عليّ)	أنت دوماً مخطئة متذمرة تحاولين ترك المسؤولية

أنت لم تعد تحبني (أشعر بالوحشة، طمئني أنك مازلت تحبني)	أعطيتك أفضل أيام عمري وأنت لم تعطني شيئاً. قد كنتُ غبية إذ أحببتك	غير صحيح، وإلا فلماذا أنا معك هنا الآن؟ (أليس بقائي معك دليل الحب؟)	أنا فعلاً لم أعد أحبك وأنا باقٍ معك على مضض فالتغيير سيكلفني كثيراً.
نحن دوماً في عجلة من أمرنا (لا أحب الاستعجال وأتمنى أن نتوقف عن ذلك.	انت لا تتحمل المسؤولية، وأنا غير سعيدة معك	لا نحن لسنا كذلك، ألم نرتح طوال اليوم الجمعة الماضية (معلوماتك خطأ)	أنت دوماً تبالغين وتقدرين الأمور دون دقة، أنا مرتاح بالعجلة ولا أتفق معك.
ما الأمر؟ (اراك منزعجاً ويهمني أن أعرف لأساعدك)	ما بك الآن؟ أنت لا تعرف كيف تحل مشاكلك دوني	أنا على ما يرام. أنا بخير،لا أحتاج لمساعدة. لا تسأليني	أنا غير مستعد لمشاركتك ولا أثق بطريقتك في التفكير

إن لغة التفاهم فن يمكن تعلمه وإتقانه إذا فهم الإنسان الطرف الآخر وكيف يفهم الرسائل في كلامنا.

- إن أرادت المرأة أن تنبّه الرجل إلى ضرورة تعديل في سلوكه، فعليها أولاً ألا تتعامل معه وفق دور الأم، بل أن تستخدم ذكاءها في عرض الموضوع على أنه اقتراح عَرَضي تقترحه على أنه يزيده نجاحاً وبطريقة ودّية مختصرة، وثانياً عليها أن تختار التوقيت المناسب، فلا تفعل ذلك في حضور أي شخص آخر كي لا تحفز الأنا عنده وتخسر الموقف برمّته، فالإنسان عموماً، وخاصة الرجل، يكره أن تعرض أخطاؤه جهاراً، أو أن يشعر أنه ملام أو مُتهم، ويكره أن يُشفق عليه أحد، وتخنقه الرعاية الزائدة.

- إذا أراد الرجل أن ينبّه المرأة إلى ضرورة تعديل في سلوكها، فعليه أولاً ألا يتعامل معها وفق دور معلم الحساب الذي يفنّد صحة/ خطأ المعلومات، بل أن يعبّر بكلمات مطمئنة وداعمة تحمي المرأة من الشعور بالقمع، وثانياً أن يتعلم مهارة الإنصات الصادق التي يمكن أن يتعلمها بالتكرار، فإن كان يعاني ضغوطاً تمنعه من الإنصات فليصرّح بهدوء أنه ليس بالوقت المناسب وأن يؤجل الحديث، دون أن يستخدَم أسلوب التأجيل مراراً وتكراراً كي لا يفقد مصداقيته.

٣. التعامل مع صعوبات الحياة والضغوط النفسي:

يختلف الرجال والنساء في طريقة تعاملهم وتعايشهم مع الضغوط وعدم فهم هذا الاختلاف يولد صدامات غير ضرورية.

ما يفعله معظم الرجال عندما تواجههم الصعاب أنهم يصبحون أكثر تركيزاً على ما يشغلهم رغم أنهم لا يتكلموا بشؤونهم كثيراً، بل هم يفضلون أن يلتزموا نوعاً من الصمت ليفكروا في الحلول الممكنة، وكأن أحدهم يدخل إلى كهفه المظلم الخاص ليفكر ولن يشعر بالتحسن إلا بحل المشكلة، وعندما يجد الحل فإنه يشعر بتحسن ويخرج من كهفه. وإذا لم يقدر على حل المشكلة فإنه يحاول أن يقوم بشيء ما لينسى المشكلة ويحرّر عقله منها ليسترخي تدريجياً ويقترب من الحل منفرداً فيما بعد.

ومن الجدير بالذكر أن فترة تفكير الرجل في مشكلته هي فترة تركيز شديد يكاد يفقد الوعي بأي شيء آخر مؤقتاً، أما المشكلات الأخرى فتصبح أقل اهمية، ويصبح كثير النسيان وغير متجاوب ومنشغل الفكر لأنه يفكر في مشكلته، وهو غير قادر حالياً على إعطاء المرأة أو غيرها الانتباه والمشاعر، وعليها في هذا الموقف ألا تفسّر ذلك أنه غير مهتم أو لا مبالٍ أو أناني.

أما ما تفعله معظم النساء في الصعوبات فهو أنها مثقلات ومشوشات عاطفياً، فتبحث عمن تثق به وتتحدث إليه بتفصيل دقيق عما يكدّرها لكي تشعر بالتحسن، وفعلاً قد لا تحلّ المشكلة لكنها تتحسن بسبب مشاركة الهموم، لأن هذه المشاركة تعتبر بالنسبة لها علامة حب وثقة وشعور بالرضا عن نفسها عندما تكون لها صديقات محبات يشاطرنها المشاعر والمشاكل المتنوعة، فليس الهدف من حديثها هو العثور على الحلول بل هي تبحث عن الراحة بالتعبير عن نفسها وفهم الآخرين.

الحديث عن المشاعر يوصلها لاكتساب وعي أعظم بما يزعجها فتتناقص حيرتها، خاصة إن كان هناك من يصغي إليها بإخلاص ويفهمها. أما إن شعرت أنها لم تُفهم وليس هناك من يشاركها الرأي، فتصبح منزعجة أكثر، فالمرأة تشعر بالرضا عن طريق الحديث عن تفاصيل المشاكل، بعكس الرجل الذي يشعر بالرضا عن طريق رسم الحلول المعقدة للمشاكل.

٤. طرق تحفيز الرجل والمرأة:

يتحفّز معظم الرجال ويشعرون بالقوة والحماسة عندما يشعرون أن هناك من يحتاج إليهم، فيصبحوا أكثر تمكّناً وثقة بأنفسهم وأكثر قدرة على العطاء. هذا يعني أنه حين يُعطى الفرصة ليثبت إمكانياته فإنه يعبر عن ذاته كأفضل ما يكون، أما عندما يشعر أنه لا يستطيع النجاح فيظن أنه غير مُحتاج إليه ويصبح بالتدريج سلبياً وأقل نشاطاً، هذا هو الموت البطيء بعينه بالنسبة له.

أما النساء فتتحفّزن ويشعرن بالحماسة عندما يشعرن أن هناك من يعّززهن ويدعمهن، فتصبح إحداهن أكثر اطمئناناً واستقراراً وقدرة على العطاء. بينما عندما لا تشعر أنها تلقى الرعاية والاحترام فإنها تصبح تدريجياً منهكة وغير قادرة على البذل، وتشعر بالظلم لأنها أعطت أكثر مما أخذت. ولكن وفي نفس الوقت

قد تميل بعض النساء إلى لوم الطرف الآخر، وما عليها حقيقة فعله ليس اللوم، بل أن تضع حدوداً لما تبذله دون أن تستاء من الغير وأن توضح هذه الحدود له، لكي لا تضيع في حماس عطائها بلا حدود وتتوازن وتحصل بدورها على ما تريد.

إن توضيح حدود العطاء والأخذ مفيد جداً للطرفين، لأنه يمكن في حماسة العطاء أن ينسى المرء نفسه ويفقد التوازن. والإنسان عموماً يخشى أن يحتاج إلى الغير ثم يُواجه بالرفض أو الخذلان أو الحكم السلبي، خاصة إن كان في أعماق وعينا اعتقاد بعدم جدارتنا لتلقي الحب والرعاية. وقد تتشكل بعض هذه الاعتقادات من خلال مواقف تربوية من المحيطين بنا والمجتمع فنظن أننا لا نستحق الحب والتقدير، ويصبح من الصعب علينا تقدير قيمة الذات، ويتولّد عندنا الخوف من الاحتياج فنقوم دون وعي منا بدفع الدعم الذي نحتاجه بعيداً، فيفتر حماس الطرف الآخر لدعمنا.

٥. دورات حياة المحبة الذكرية والأنثوية:

المقصود بدورة حياة المحبة هو الخط البياني الذي استنتجته الدراسات النفسية، حيث تصعد محبة الإنسان للطرف الآخر لمستويات عالية ثم تنزل لمستوى ما، ثم تعود لتصعد بعدها مجدداً، وهي دورة طبيعية غير أنها مختلفة عند الجنسين بسبب اختلاف طبعهما والأدوار التي يقومان بأدائها في الحياة.

دورة حياة المحبة الذكرية هي مثل الحزام المطاطي: تقتضي الاقتراب، ثم الانسحاب والتراجع للخلف بمقدار معين، ثم الاقتراب مرة أخرى. فالرجل يحتاج دورياً للانسحاب نفسياً قبل أن يتمكن من الاقتراب النفسي مجدداً، وهذه طبيعته التي خلقه الله عليها ليتمكن من أداء دوره في قيادة الأسرة والعمل للإنفاق عليها، فالعمل يتطلب جلداً وصبراً للاستمرار، وهذا الاستمرار لا يكون إلا بأخذ فترات دورية من الراحة والاستقلال ثم العودة مجدداً لمسؤولياته الأسرية.

وما يحصل هو أنه خلال فترة انسحابه أنه يعود إلى احتياجه للمحبة والمودة مجدداً، مما يحفزه على العودة للبذل والحصول على المزيد من المحبة التي يحتاجها. فإذا لم يقم الرجل بهذا الانسحاب فإنه يصاب بحدة في المزاج وسرعة في الغضب والسلبية والدفاعية.

وفي هذه الحالة، على المرأة ألا تظن أن هذا بسبب خطأ منها وأن عليها أن تحاول التقرّب منه وإجباره على الكلام، فما يحصل عملياً هو أن جريها وراءه يزعجه ويمنعه من الشعور أنه يحتاج إليها، وبالتالي لا تصبح لديه رغبة بها. ولذلك يستمر بالهرب ولا يجد الفرصة ليشعر بالشوق لها. ومن النساء من يوصلها انسحاب الرجل إلى الذعر والتشكيك بمحبته لها، غير عارفة أن الأمور بخير وسيعود الرجل قريباً.

أما دورة حياة المحبة الأنثوية فهي مثل الأمواج: تقتضي الصعود والهبوط في قدرتها على تقدير ذاتها وحب الآخرين. فعندما تشعر بأنها محبوبة يزداد تقديرها لذاتها ويرتفع رضاها عن نفسها في حركة موجية صاعدة، فإذا تبدّل مزاجها لأسباب هرمونية فإنها تتكسر موجتها وتنخفض فتشعر بالفراغ الداخلي العاطفي كأنها تغرق في بئر. هي تحتاج أن تُسمع وأن تُغمر بالمحبة والدعم فتشعر بالرضا عن نفسها مجدداً وتبدأ موجتها آلياً بالارتفاع وتعود لعطاء من حولها بأضعاف الدعم والمحبة. وتلك هي طبيعتها التي خلقها الله تعالى عليها لتتمكن من أداء دورها في العطاء العاطفي المضاعف للغير. فإذا لم تحصل المرأة على الدعم والتقدير ممن حولها، فهي تشعر بأنها مستهلكة نفسياً وغير قادرة على العطاء العاطفي، فتقمع المشاعر داخلها وتتخدر، وتتجه نحو سلوكيات إدمانية كإدمان التنظيف أو العمل أو الأكل.

وفي هذه الحالة، على الرجل ألا يظن أن هذا بسببه، ولكن يمكنه أن يعينها على الخروج من هذا البئر المظلم بشيء من التقدير الصادق، فيكفيها ذلك لتنطلق

إلى ترجمة ما أعطاها من تقدير إلى رضا عن الذات، ومن ثم تبدأ بالتحرك نحو الأعلى وتشعّ على من حولها بالمحبة والعطاء مجدداً. ومن الرجال من يوصله احتياجها للتقدير إلى الارتباك فيشعر أنها مذبذبة صعوداً وهبوطاً، والاستياء عندما يحاول إصلاحها بالنصح والتوجيه فلا تستجيب، غير عارف أنها تحتاج لتصل إلى قاع البئر قبل ان تتمكن من الصعود من جديد. عليه أن يعطيها مساحة للتعبير عن استيائها، ثم يقوم برعايتها ودعمها بحب غير مشروط وبصبر، وتلك هي صفات القيادة، وتلك هي المنحة الخاصة التي تجعل المرأة شديدة الامتنان والمحبة له.

٣/ . خلاصة النصائح العامة للطرفين :

عندما تُقمع المشاعر السلبية داخلنا تُقمع معها المشاعر الإيجابية وتتضاءل المحبة تدريجياً، في حين أن تفهّم احتياجات الآخر وتعديل بسيط في الكلمات يمكن أن يعين على تجاوز الضغوطات النفسية الداخلية
لا تعتبر أن محاولة تغيير الطرف الآخر من حقك، فالأمر متروك لكل شخص كي يغيّر نفسه عندما يشعر بضرورة ذلك، أما مهمتك فهي توضيح الفائدة من التغيير ثم الدعم العاطفي والنفسي وإفساح المجال له ليختار بحرية، فالآية الكريمة: ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ تعني أن الله تعالى بذاته لم يجبر الإنسان على التغيير بل ترك له الخيار كجزء من اختباره في الحياة: أن يقوم بالاختيارات الصحيحة رغم معارضة نفسه الأمارة بالسوء فيتلقى أجر مقاومته لنفسه.
بدل أن تفكر أن ثمة خطأ في الطرف الآخر، قد تكتشف أنك أنت من يسيء تقدير وتفسير الموقف، وهذا الفهم سيجعلك تعدّل في سلوكك كي تبدأ في الحصول على المزيد مما تريد

	نصائح للرجل	نصائح للمرأة
١/.	تعلّم الإنصات للمرأة، فكل ما ترغب به أحياناً هو البوح بمشاعرها وما حدث معها، فلا تقاطعها بحلول المشكلات، ولا تحاول إيقاف مشاعر الضيق عندها قسراً.	تعرفي على مفهوم الذات عند الطرف الآخر، فإن كان متعلقاً بالإنجاز فلا تقدمي له النصائح حتى يطلب منك ذلك، ولا تحاولي تغيير سلوكه بالانتقاد والتوجيه دون سابق طلب.
	عندما يقاوم الطرف الآخر فقد يكون ذلك بسبب أننا قد ارتكبنا خطأ في توقيت الكلام أو طريقته	
٢/.	تذكر أن صمتك وعدم وضوحك يمكن أن يجعل المرأة تتخيل الأسوأ	حاولي تأويل صمت الرجل وإجابته على شكواك بشكل صحيح، فالاحتمال الأكبر هو أنه لا يقصد إيذاءك أو تكذيبك أو اتهامك، بل هو يفسّر كلامك كما يفكر هو
	اختلافات استخدام اللغة قد توصلكما إلى مواقف سوء تفاهم تتطور إلى مشاعر سلبية متراكمة، فابذلا الجهد لتوضيح القصد من الكلام. الاستجابة لاحتياجات الآخر التي تختبئ وراء الكلمات من مصلحة الجميع.	
٣/.	عندما تكون المرأة تحت الضغوط، احترم حاجتها للحديث وقُم بالإنصات المخلص.	عندما يكون الرجل تحت الضغوط، لا تستهجني حاجته للانسحاب والتفكير بهدوء، لا تتابعيه بالأسئلة حول مشاعره. أفسحي له المجال بصبر، فإذا طلب العون قدّميه له.

	تشكّل الاختلافات بين الجنسين عامل جذبٍ قوي كما بين السالب والموجب، وتلك هي إرادة الله تعالى وخلقه الذي أراد منه أن يجتمع الجنسان بإرادتهما.	
٤/.	عند النصيحة: استمع لما تقوله المرأة بين السطور لتتمكن من استخدام كلمات الدعم المناسبة المطمئِنة لتحقيق النصيحة.	عند النصيحة: لا تنتقدي الرجل مباشرة وأمام الناس، بل أعطه تقبّلاً ودوداً بصدق ليبدأ بالانفتاح وطلب المساندة.
	سوء التفاهم غالباً ما ينتج عن نسيان أننا نتحدث بـ"لغات" مختلفة، ومن يأخذ الوقت الكافي لـ"ترجمة" ما يقصده الطرف الآخر ويدرّب نفسه بالتدريج، يحصل على ما يريد.	
٥/.	احترم حدود المرأة للعطاء ولا تظن أنها يمكن أن تستمر بالعطاء دون أخذ، فسيأتي يوم وتتوقف تماماً. تحمل المسؤولية من خلال دعمها والإنصات إليها	ضعي الحدود الواضحة لعطائك ولا تنخرطي بعطاء بلا حدود وبلا توازن. وتذكري أنك تستحقين الأخذ، والأخذ بتوازن سيريحك كما العطاء تماماً
	لا بأس ببعض الأخطاء والفشل من حين لآخر، فليس علينا أن نعرف كل الإجابات، والبشر يتعلمون من أخطائهم	
٦/.	لدى المرأة تقلّب دوري عاطفي صعوداً وهبوطاً حول تقدير ذاتها وحب الآخرين. ورغم أن هذا ليس بسببك، لكن يمكنك مساعدتها بتقديرها والاستماع إليها.	لدى الرجل تناوب تلقائي بين حاجة للمحبة وحاجة للاستقلال فلا تظني أن هذا بسببك بل هي طبيعته. فلا تطارديه أو تعاقبيه. دعيه يأخذ وقت كافٍ، وسيعود في الوقت المناسب.

الفصل الثالث

مقارنة بين حقوق المرأة في الإسلام وفي العالم الغربي

١/. الحقوق العامة والخاصة للمرأة في الإسلام:

ورد سابقاً أن الإنسان بنوعيه، الذكر والأنثى مكرّم عند الله تعالى بنفس القدر، وقيمتهما الإنسانية متساوية، وأن الكرامة التي يقررها الإسلام للمرأة جزء لا يتجزأ من الكرامة التي قررها لبني الإنسان اجمع. وتتمثل هذه الكرامة في مجموعة الحقوق التي جعلها الله تعالى مظهر تكريم لكل من الرجل والمرأة على السواء:

١/. حق الحياة:

مما لا شك فيه أن حق الحياة هو أقدس ما متّع الله الإنسان به من الحقوق، لأنه أساس سائر الحقوق وينبوعها، ولذلك نلاحظ النقاط التالية:

○ كلمة "نفس" تُسقط فارق الذكورة والأنوثة حيث يقول تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة ٣٢).

○ عقوبة القصاص في قتل الرجل والمرأة عمداً متساوية: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ (المائدة ٤٨). فاحتج الأئمة كلهم على أن الرجل يقتل بالمرأة بعموم الآية الكريمة، وكذا ورد في الحديث: "أن الرجل يقتل بالمرأة" (النسائي) وأن: "المسلمون تتكافأ دماؤهم". ومن الأحداث في زمن النبوة أن رجلاً يدعى قيس بن عاصم المنقري أسلم ثم أتى النبي فقال: إني وأدت اثنتي عشرة بنتاً لي أو

ثلاث عشرة (أي في الجاهلية)، ومع أن الإسلام يجب ما قبله، لم يشأ النبي إلا أن يعظم عليه ما أتى، وأن يفرض عليه ما يقابل فعلته فقال له: "أعتق عن كل واحدة نسمة"، والنسمة إنسان، سواء كان ذكراً أو أنثى.

○ عقوبة القصاص في قتل الرجل والمرأة خطأ: إن كانت الجناية خطأ اختفت العقوبة وحلت محلها الديّة، وهنا تصبح ديّة قتل المرأة نصف ديّة قتل الرجل، وذلك ليس بناءً على القيمة الإنسانية، بل تأتي الدية كتعويض عما لحق الأسرة من ضرر مادي من جراء فقد معيلها في حال كان المقتول رجلاً[1]. وهنا يُفسح المجال للقاضي لتقدير الديّة بما لا يقل عن الأدنى ولا يزيد عن الأعلى، بناءً على الأضرار المادية التي لحقت بأهل القتيل.

٢/. حق الأهلية والحقوق المدنية:

تشمل الحقوق الأهلية المدنية التملّك والتصرّف بالممتلكات وإنفاذ العقود المالية والتولد من مملوك والهبات والصدقات وبقية مصادر التملك والعلاقات حرية التصرف بأموالها دون وصاية أحد عليها ما دامت رشيدة متحررة عن عوامل الحجر والوصاية، وتملك حق الحصول على الميراث، والأجر المتساوي مع الرجل في العمل، فالأجر يحصل في مقابل أداء العمل وجودته لا في مقابل نوع العامل من ذكر أو أنثى. وجاء الإسلام مؤكداً استقلالية المرأة عن الرجل في حقوقها المدنية، فهي تملك حرية الإجارة والكفالة والولاية للآخرين والضمان، تملك حق الاختيار في الزواج فلا يملك وليّها إلا الرجوع إلى رأيها في أمر زواجها ولا يحق له تزويجها إلا بمن هو كفء لها وتوافق عليه. وهذا ما نستنتجه من الآيات والأحاديث الكريمة التالية:

---

(١) للمزيد من التفاصيل، ارجع إلى كتاب "المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني" / د. البوطي، صفحة ٤٤.

١ - ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ﴾ (النساء ٣٢).

٢ - ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (النساء ٧).

٣ - ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ (النساء ٤).

٤ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ﴾ (النساء ١٩).

٥ - ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ (النساء ١٩).

٦ - ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ (النساء ٢١).

٧- قالت عائشة أن جارية أتت النبي ﷺ فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة فأرسل إلى أبيها فجعل الأمر إليها وخيّرها، فقالت: قد أجزت ما صنع والدي ولكن أردت أن أُعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء.

٨- ورد في وثيقة المدينة التي اكتتبها النبي ﷺ بعد الهجرة: "ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم. والمؤمنون بعضهم موالي بعض دون الناس" (رواها ابن إسحاق). وكذلك قوله ﷺ "قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ".

٣/ . حق حرية العمل:

الحرية بشكل عام هي مدى المرونة التي يتمتع بها الإنسان في التعامل مع العالم المحيط به. ولكون الإنسان عموماً مكلف، فهذا يعني أنه مسؤول عن جملة مهام وأدوار، فلا يملك أن يتصرف إلا ضمن ما قد أذن له الله تعالى فيه. وبناءً على سلوك الإنسان تجاه تلك المسؤولية والتكاليف الإلهية يتحدد نوع جزائه ونتيجة أعماله ومصيره، فمن ينظم حياته وفق شرع الله يحصل على المثوبة والأجر

والقرب من الله تعالى، ومن يترك الشرع ويتصرف وفق هواه يواجه النتائج. والرجل والمرأة متساويان في ذلك، فالشارع قد ضبط الحرية الاجتماعية الشخصية وفق حماية حريات الآخرين ورعاية مصالحهم بالحق، ومن ذلك حرية العمل. وفي هذا الشأن نلاحظ الضوابط التالية:

١) إن أحكام الأعمال المشروعة وغير المشروعة للرجال هي ذاتها للنساء. فالمباحات للرجال مباحات للنساء والمحرمة على الرجال محرمة على النساء. ومن الأعمال ما يحتاج إلى قوة عضلية، ولذلك يضطلع بها الرجال. رغم أن هذه الأعمال غير محرمة على النساء إلا أن الرحمة بالمرأة وعدم تحميلها فوق طاقتها يجعل الأمر مرهوناً غالباً للرجال، وهذا ليس انتقاص بالمرأة أبداً، كما يصوّر الغرب، بل هو الرحمة بها والعدل بعدم تساوي القدرات الجسدية. ودليل الاختلاف بين الجنسين هو التفريق بينهما في الرياضات المختلفة في مباريات الأولمبياد وغيره عندما تتبارى نساء مع نساء، ورجال مع رجال، وليس بشكل مختلط.

٢) هناك سلوكيات اجتماعية دينية عامة نظّم بها الله تعالى علاقة الجنسين ببعضهما وعليهما الالتزام بها على حد السواء، ومن ذلك التقيّد بمظاهر الحشمة وعدم الخلوة بغير المحارم، وعلى كلٍ من الرجل والمرأة أن يتجنبا تماماً التعرّض للخلوة وكل ما هو بعيد عن الحشمة. يتوجب على الرجل والمرأة كليهما أن يلتزما بالمظهر الإسلامي اللائق الذي نص عليه الشارع، وذلك بارتداء ما لا يصف العورة ولا يشفها وليس بثوب الشهرة والتكبر، فالمرأة عليها حجابها والرجل عليه حشمته وثيابه الفضفاضة كما كان النبي ﷺ.

٣) في الأوضاع التي يتعارض فيها العمل مع مسؤوليات أخرى فلابد من ترتيب سلم الأولويات. وهذا الترتيب يعني أن يرتّب الإنسان المسؤوليات والأعمال

المطلوبة منه وفق تسلسل حكيم ومحايد، أي وفق ما تقتضيه الحاجة فعلاً وليس وفق الهوى الشخصي والرغبات، لكي نعطي كل ذي حق حقه. فالأولوية الأولى للأم هي المسؤولية التي وضعها الله تعالى بين يديها دون غيرها: تربية أبنائها. وهذا الدور يقتضي أن تفرّغ نفسها ليس فقط للطبخ والتنظيف (الذي يمكن أن تقوم به أي خادمة)، بل الأهم هو الرعاية النفسية والعاطفية والفكرية للأسرة والأطفال، ليتم إنشاء عقل سوي ونفسية مستقرة وروح مرتبطة بخالقها في هذا الإنسان الصغير الجديد، وهذا يتطلب عملاً يومياً متواصلاً ، خاصة على مدى السنوات السبع الأولى، فيأتي في أعلى أولويات المرأة، كونها مكلفة به شخصياً كفرض عين، ولا يجوز لها تركه في سبيل حصول الأسرة على المزيد من المال ولا في سبيل تحقيق ذاتها خارج المهمة التي كلفها الله تعالى بها في هذه المرحلة من حياتها.

وهذا لا يعني تحريم العمل على المرأة، ولا حرمانها من ممارسة الوظائف والأعمال الأخرى خارج المنزل مما يعود عليها وعلى مجتمعها بالفائدة، غير أن ترتيب الأولويات يقتضي التفكير بالمنطق والعدل الذي يأخذ بعين الاعتبار النتائج المترتبة على عمل المرأة، فإن ضاعت منها مسؤوليات لا يستطيع أن يقوم بها أحد سواها، كرعاية الزوج والأمومة، فمن المنطق البدء بما له الأهمية الكبرى للأسرة ثم نتدرج نحو الأقل ضرورة، فالأقل.

وإن اتفق الزوجان على أن الرعاية المنزلية والأمومة لن تتأثر بعمل المرأة، وأن المرأة تملك وقت فراغ يمكن أن تعمل فيه خارج المنزل ما هو مفيد وصالح لها ولغيرها، ضمن الآداب الشرعية، فلا مانع شرعاً من ذلك. فالهدف هو إعطاء كل ذي حق حقه، وأنت يُعطى ترتيب الأولويات في المسؤوليات المقام الأول من قبل المرأة والرجل على حد السواء.

٤/. حق الحرية السياسية:

وتعني حرية القيام بالأنشطة السياسية، كالإدلاء بالصوت في الانتخابات والترشح لها والإطلاع بالمناصب المختلفة في الدولة من وزارات وبلديات وإدارات، وهي مباحة في معظمها عدا رئاسة الدولة، وهي المسؤولية التي تماثل الخلافة. والحكم في هذه القضية خاضع لسنة الله في خلق المرأة، وما فطرها عليه من خصائص غريزية (فسيولوجية) وعاطفية وفكرية، وهي خصائص قاهرة لا يد للإنسان في تحويرها لأنها في تركيب الدماغ وبنية خلاياه. إنها فوارق بين الرجل والمرأة أزلية أبدية، اقتضتها الحكمة الإلهية العميقة التي تُعنى دائماً بالتمييز الدقيق في الخلق، عناية تتطلبها عمارة هذه العوالم القائمة على تقسيم الأعمال وتيسير كل من الكائنات إلى ما يلائمه وما خلق له.

إن كل مجتمع يحاول بُنَاتُه إلغاء تلك الفوارق الواضحة بين أعمال الجنسين فمصيره إلى الاضطراب والفساد، لأن ذلك ثورة على طبيعة الخلق، وما كان ثورة على الطبيعة فمنه الضرر كل الضرر، ولا يرجى له دوام، وإن خُيِّل لبعض الأفراد والجماعات (سطحية في تفكيرهم أو تعصباً لمذهبهم) إمكانية الاستمرار عليه. وطبيعة الخلق هذه لها نمط واحد لأنها لرب واحد، لا يختلف باختلاف الأمم ولا باختلاف الأعصار والأمصار، ولا بتفاوت المجتمعات رقياً وانحطاطاً، ولا بتباين الأفراد تربية وثقافة. فالمرأة نظام الأسرة وسيدة البيت ومربّية الأجيال من الطفولة، وهذه فنون نسوية محضة لا يتقنها الرجل ولا يحتملها، في حين أن قيادة الجيوش وإدارة المصالح العامة وتدبير الممالك وسياسة الناس فن الرجال الخاص. ولئن حفظ التاريخ شواهد عديدة في قيام المرأة بشؤون السياسة والإدارة، فإن ذلك لا يمس هذه القاعدة بل يؤيدها كونها أمثلة استثنائية وليس بكثرة الوصول إلى إلغاء القاعدة. وقد صحب رسول الله ﷺ النساء في مغازيه،

وأبلين معه البلاء الحسن، فكن نعم المعينات للمحاربين، يداوين جرحاهم ويحملن إليهم الماء في القرب يسقينهم، ويتعهدن أطعمتهم، وملابسهم وقربهم، وكن أحياناً يمارسن القتال، مثل أم عمارة بنت كعب، وهي من القلة.

الحق أن الإدارة والسياسة تقتضيان تكتيكاً وصبراً مضنياً وضبطاً للعواطف وكبحاً للانفعال والغضب والرغبات في سبيل انتصار المجموعة، وهي صفات تتمكن منها النساء مع أطفالهن أكثر من الكبار، بل إن الرجال أنفسهم يعجز الكثيرون منهم عن ذلك، إلا من رحم ربي. ولذلك فإن رئاسة الدولة غير مفتوحة أمام المرأة، كما أن مهام الرئاسة تتضمن، بالإضافة للمهام السياسية المذكورة، مهام دينية محضة والمرأة غير مكلفة بها، كالإمامة والخطبة على المنابر، وقيادة الجيوش في الحرب، وإعلان الهدنة والصلح، وتلقّي البيعة من الناس، والخروج بالناس إلى الصلوات المختلفة في العيدين والاستسقاء وغيرها. أما بقية الوظائف السياسية المتخصصة كالوزارات وغيرها، فتبقى مقبولة نظراً لأن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يرد الحظر. أي أن سائر الأنشطة السياسية عدا إمامة الأمة، داخل في عموم حكم الإباحة، شرط أن تكون المرأة أهل لها وأن تتقيد بالآداب والضوابط الشرعية. ومن هذه المهام ما يلي:

١). الإدلاء بالصوت ومبايعة الحاكم، وهو عمل سياسي يعلن فيه الفرد دعمه وانقياده لمن سيتولى مهام قيادة الأمة، وهي مبايعة يأمر الدين بها ويستوي في المطالبة والتكليف بها الرجال والنساء دون فرق.

٢). الاشتراك في عضوية مجالس الشورى على اختلاف أنواعها ومراتبها. ومن المعروف ان مبدأ اعتماد الشورى في كل ما يصدر من قرارات وأحكام اجتهادية لا نص ملزم فيها، هو واجب شرعي يدخل في جوهر الدين لكل من الرجال والنساء معاً، وهذه الشورى هي ما نراه في سيرة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين

في استشارة النساء وتنفيذ أرائهن في مواقف مشهورة تاريخياً. ومن الجدير بالذكر أن "كل من صح أن يفتي في الشرع، جاز أن يشاوره القاضي في الأحكام"[1]. وهكذا يقرّ الفقهاء مشاورة العقلاء من الجنسين.

٣). العمل في الاعمال الوزارية وما في حكمها من مناصب متخصصة. فالمرأة التي تكون أهلاً من حيث المبدأ والاختصاص، والملتزمة بالآداب والضوابط الشرعية، ليس في الشرع ما يمنع ممارستها لتلك الوظيفة.

٥/. حقوق خاصة للأقرباء من النساء:

وهي الحقوق التي تتمتع بها المرأة بشكل عام في الأسرة الإسلامية سواء كانت ابنة أو أختاً أو زوجةً أو أماً ، وهي ذات الحقوق التي تخسرها المرأة بزواجها من غير المسلم كونه غير مجبر على الأخذ بهذه الحقوق، لذلك وحماية لها، منع الشرع زواج المسلمة بغير المسلم. وتتضمن هذه الحقوق ما يلي:

١- حق التربية الصالحة لها في طفولتها ويفاعتها: على والديها القيام بحسن تربيتها حتى تلحق بالنساء، والتربية هنا تتضمن الجوانب الأربعة كلها: التربية الجسدية (لتنمو في جسد صحيح معافً غير مريض ولا عليل)، التربية العقلية (في تنمية المهارات الفكرية التي يجب أن تُنمى فيها كي تمتلك القدرة على التفكير السليم في المستقبل)، التربية العاطفية (إشباع حاجاتها العاطفية كطفلة وكيافعة وكشابة وتعزيز ثقتها بنفسها كونها محبوبة)، والتربية الروحية (تعريفها بخالقها وربطها بمحبته لتعرف هدف حياتها). ومما يؤسف له أن مجتمعنا ربما يحرص على أن تكون بناتنا في صحة جسدية فقط ، ونتجاهل العقل ومهاراته، ونتعامل مع العاطفة بلا توازن: إما نقوم بدلالها حتى تفقد الشعور بالمسؤولية

(١) أدب القاضي للماوردي: ١/ ٢٦٤.

أو نشدّ عليها حتى تفقد ثقتها بنفسها، ثم نظن أننا بإجبارها على حفظ القرآن الكريم، مع ما فيه من خير، قد أدينا واجبنا الروحي حتى لو لم تفهم من القرآن ولم تطبق شيئاً ولم تتعلق بربها ورسولها، وهذه ليست تربية صالحة.

٢- حق العشرة بالمعروف: وهذا يعني أن على الرجل أن تكون بينه وبين نساء بيته من أم وزوجة وأخت وخالة وعمة وجدة .. إلخ، عشرة بالإكرام والتعامل الحسن دوماً، وأن ينظر بعين الاحترام والتقدير للنساء الأكبر منه، وبعين الرحمة والمودة للنساء الأصغر منه، وأن يراعي أن الله تعالى قد كلّفه بالقيام على شؤون من يعيل من قريباته من النساء ويرعاهن ويمنع عنهن كل من يؤذيهن، ومن باب أولى ألا يؤذيهن بنفسه فلا يعرّضهن للامتهان أو الذل أو احتياج الغير حتجن لغير المحارم، وأن يُكرم حتى النساء اللاتي لا يعيلهن في الأسرة احتراماً وتقديراً. هذه العشرة بالمعروف هي فرض جاء بالأمر الصريح: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء ١٩)، ويشمل ذلك كل سلوكيات حسن الخلق. حيث كان الناس يترسمون في معاملة أزواجهم ما يفعله النبي ﷺ، وكان معهن ليّن الجانب حلو العشرة سهل المقادة، يراجعنه في كثير من أموره ويرددن عليه، حتى صرن قدوة يقتدي بها بقية النساء؛ فإذا أنكر زوج حق زوجته في مراجعته احتجت عليه بعمل الرسول فسكت، وما أطرف حديث عمر بن الخطاب حين قال: والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم. فبينا أنا في أمر آتمره إذ قالت لي امرأتي: «لو صنعت كذا وكذا» فقلت لها: «ومالكِ أنتِ وهذا؟» فقالت لي: «عجباً لك يا بن الخطاب، ما تريد أن تُراجَع أنت، وإن ابنتك (تعني السيدة حفصة أم المؤمنين) لتراجع رسول الله حتى يظل يومه غضبان» فأخذت ردائي ثم خرجت حتى دخلت

على حفصة، فقلت لها: «يا بنية إنك لتراجعين رسول الله حتى يظل يومه غضبان؟» فقالت حفصة: «والله إنا لنراجعه» فقلت: «تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله » ثم خرجت إلى أم سلمة، وكانت من قرابتي، فكلمتها فقالت لي: «عجباً لك يا بن الخطاب؛ قد دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه؟» فأخذتني أخذاً كسرتني به عن بعض ما كنت أجد، فخرجت من عندها بصمت». والمراجعة المقصودة هي الحوار وتبادل الرأي والمشورة التي قد تصل بين الزوجين أحياناً إلى الجدل الخفيف. أما الجدل الشديد فهو مذموم بين الجميع رجالاً ونساءً: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً" (والمراء هو الجدال).

٣- حق الإنفاق على المرأة سواء كانت زوجة أو ابنة أو أماً أو أختاً فقيرة وبلا معيل ومورِّثة له، مما يعني أنه مطالب بالإنفاق على المرأة دون أن تحتاج هي إلى العمل للإنفاق على نفسها ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ (النساء ٣٤). فالرجل مكلّف بالإنفاق على من يعيل من النساء، وقد يصل الحال في الأزمات إلى إعالة بنات العم والأقرب فالأقرب إن لم يكن لهن معيل، ولذلك يُعطى الرجل ضعف الحصة من مال إرث العصبة (مجموعة الرجال والنساء).

ويأتي ترتيب الإنفاق بالبدء أولاً بالنفس ثم الزوجة والعيال ثم الأقربين من النساء بلا معيل للحديث الشريف: "ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا" (رواه أحمد ومسلم). وهذا يعني وجوب إنفاق الرجل على أهل بيته ثم أمه وأخواته بما يستطيع بشرط فقرهن وعدم وجود معيل لهن وهو يرثهن إذا متن، كي لا يضطررن للخروج من المنزل والعمل مع الرجال. فإن كان الأخ

لا يرث أخته إن ماتت لوجود ابن لها أو لوجود الأب أو الجد (أبو الأب)، لم تلزمه نفقتها. قال ابن قدامة في "المغني": "يشترط لوجوب الإنفاق ثلاثة شروط:

- **الأول:** أن يكونوا فقراء لا مال لهم ولا كسب يستغنون به عن إنفاق غيرهم، فإن كانوا موسرين بمال أو كسب فلا نفقة لهم.
- **الثاني:** أن يكون لمن تجب عليه النفقة مالاً ينفقه عليهم فاضلاً عن نفقة نفسه، أما من لا يفضل عنه شيء، فليس عليه شيء، كما هو في الحديث المذكور آنفاً.
- **الثالث:** أن يكون المنفق وارثاً لقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾، ولأن بين المتوارثين قرابة تقتضي كون الوارث أحق بمال الموروث من سائر الناس، فينبغي أن يختص بوجوب صلته بالنفقة دونهم، فإن لم يكن وارثاً لم تجب عليه النفقة".

٤- حق المرأة في اختيار الزوج والرضا به، وهذا ما يسمى استئمار المرأة في الزواج، فلا يجوز إجبارها على أن تنكح رجلاً لا ترضاه، بل يجب على الولي أن يستأذنها في أمر نكاحها، ويكفي للدلالة على رضا البكر سكوتها في حين تأذن الثيب صراحة، للحديث الشريف: "لا تنكح الثيب حتى تستأمر ولا البكر إلا بإذنها"، قالوا: يا رسول الله، وما إذنها؟ قال: "أن تسكت". والقصة الطريفة تقول أن عائشة رضي الله عنها اشترت جارية اسمها بريرة وكان زوجها شديد التعلق بها واسمه مغيث، ثم أعتقتها فعاد الخيار لبريرة بمقتضى الشرع بين أن تبقى عند زوجها أو تتركه، فلما خُيّرت اختارت طلاقها، فقامت قيامة هذا الزوج المسكين، وهام في سكك المدينة يطوف وراءها ويبكي بدموع تتحادر على لحيته يترضاها وهي تقول: «لا حاجة لي فيك»، وبلغ ذلك الرسول ﷺ فَرَقَّ له وقال لبريرة: «لو راجعتيه» فقالت: «أتأمرني؟ أهو واجب علي؟» فقال: «إنما أنا شافع» فقالت: «لا حاجة لي فيه» فجعل النبي يعجب ويقول للعباس:

«يا عباس ألا تعجب من حب مغيث لبريرة وبغضها له؟»[1]. وهكذا اعتذرت الجارية عن قبول شفاعة النبي نفسه، متمتعة بحريتها القانونية وكان صنع الرسول هنا إقراراً عملياً لهذه الحرية.

٥- حق التعليم الشرعي، كون الرجل هو المكلف بالعمل يعني خروجه من المنزل وتمكّنه من حضور مجالس العلم المختلفة أكثر من المرأة، وأقلها حضور صلاة الجمعة التي هي درس أسبوعي ومصدر علم وتوعية بقضايا الأمة، وعلى الرجل أن يعمل على سد الثغرة التعليمية التي يسببها بقاء المرأة في البيت وهي قائمة على خدمة الأسرة وتربية الصغار من خلال نقل العلم الشرعي الأساسي على الأقل، أو توفير الفرص لها لتحصيله بالقراءة وغيرها، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ (التحريم ٦). والنار هنا هي نار الجهل بالدين.

٦- حق عشرة الزوجة بالمعروف ثم بأكثر من المعروف (الإحسان) في حال الخصام والطلاق: أي أن تعامله ﷺ مع نسائه كان حنوناً متسامحاً رفيقاً، يُكرِم ولا يهين حتى عند الاختلاف بوجهات النظر، يُعلي مكانتهن ويشاورهن في قراراته، سندٌ لهن في الشدائد، حليمٌ عند الغضب، تنفيذاً لأمر الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ (النساء ١٩). ثم عند الخصام، كان ينفّذ أمر الله تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ (البقرة ٢٢٩). وهذا يعني عدم إكراه المرأة على ترك حقوقها عند طلاقها من نفقة أو إخراجها من بيت الزوجية

---

(١) سيرة ابن هشام (غزوة الفتح الأعظم، الطبعة القديمة)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى (ص ٢٢٣)، صحيح البخاري، مسند أحمد (٦/ ٨١)، الإجابة لإيراد ما استدرآته عائشة على الصحابة (ص ٤٩)، السمط الثمين (١٨٢).

لقولـــه تعـــالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ (الطلاق ١) أو مضارتها لتتنازل عن نفقة واجبة لها أو عن أولادها، بل الآية تأمر بالإحسان للمطلقة، وهو أمر مطلوب في الواقع من الطرفين لتخمد نيران الغضب وينكفئ الشيطان الذي يوغر الصدور ويُحدث الطرفين بشتى أنواع الإزعاج والانتقام، فتزداد الضغينة والألم على الطرفين. المؤمن الحقيقي يتحكم بنفسه فيمتنع عن الاستجابة لشياطين الإنس والجن الذين يوغرون صدره ويشجعونه على مضارة مطلقته والضغط عليها لتترك حقوقها. المؤمن القوي لا يسمح لقوى الشر أن تتحكم فيه ولا يسمح للغيظ أن يُنزل مروءته ورجولته ومستواه الفكري إلى مستوى الإغاظة والانتقام من أي انسان، وخاصة تلك التي كانت ذات يوم تحمل اسمه، وستظل أم أولاده مهما طال الزمان.

٧- حق الخلع في حال كرهها للزوج وعدم احتمال البقاء معه، بدليل ما رواه البخاري في صحيحه أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلا دِينٍ وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ. (زاد ابن ماجة: لا أطيقه بغضاً) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ ؟" فَقَالَتْ: نَعَمْ. فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اقْبَلْ الْحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً." ("أكره الكفر في الإسلام" تعني أكره أن أعمل ما لا يُرضي الله من عدم القيام بحقوق الزوج، فتح الباري). غير أنه لابد من التأكيد على الاجتهاد في محاولة الإصلاح قبل اتخاذ قرار الخلع بشتى الوسائل المتاحة، فإن لم تنفع محاولات الإصلاح، فالخلع جائز.

٨- حق استخدام الزوجة لمالها الخاص دون الوصاية عليها، وهناك أقوال لبعض العلماء تقول بضرورة استشارة زوجها حين التصرف بمالها، غير أن أعدل الأقوال المنسجمة مع الكتاب والسنة هو أنه للمرأة التصرف في بعض مالها

أو كله مطلقاً، وبذلك قال جمهور الحنفية والشافعية والحنابلة وابن المنذر في المغني وغيرهم، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾ (النساء ٤)، فأباح الله للزوج ما تتنازل له به امرأته عن طيب نفس، وليس قسراً. وقوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾ (البقرة ٢٣٧)، فأجاز عفوهن عن مالهن بغير استئذان من أحد فدل ذلك على جواز أمر المرأة في مالها، وعلى أنها تحكم في مالها كالرجل في ماله (شرح معاني الآثار)، وقوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ (النساء٦)، فاليتيمة إذا صارت راشدة جاز لها التصرّف في مالها. وكذلك لما تصدقت النساء بحليهن بعد موعظة النبي ﷺ لهنّ في خطبة العيد، فهذا يدلّ على نفاذ تصرفاتهن المالية الجائزة دون استئذان أحد. فذهب الجمهور إلى أنه يجوز لها مطلقاً من غير إذن من الزوج إذا لم تكن سفيهة، فإن كانت سفيهة لم يجز (نيل الأوطار). في حين أن استشارة زوجها في مالها محمولة على حسن العشرة لا أكثر. وهناك من يفرض على زوجته وبناته أن ينفقن من مالهن الذي اكتسبنه بعملهن، وهذا غير جائز في الشرع الذي يقرّ للمرأة مالها وحرية التصرف فيه دون أن يحل لأحد أن يجبرها أن تدفع منه شيئاً إلا بكامل رضاها، فالرجل هو المكلف على الإنفاق وليس المرأة، سواء كان زوجاً أو أباً أو أخاً.

٩- حق حصولها على الإرث ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ﴾ (النساء ١٢). الإرث حق للمرأة وإعطاؤها حقها فرض بصرف النظر إن كانت متزوجة أم عازبة، غنية أم فقيرة. علم المواريث له قوانين تفصيلية لا يجوز تغييرها وفق الأهواء ولا وفق التقاليد التي تخالف النص الشرعي، فمن الناس من لا يرغب بتوريث الابنة

من مال أبيها بحجة ألا يذهب مال العائلة لزوجها أو غيره، ومن الناس من لا يعطي المرأة حصتها من أراضي أبيها بمال أو بأرض أو بذهب، ومن الإخوة من يحرم أخته حصتها في مال أبيها بحجة أنه كان يعمل مع أبيه ويفترض أن من حقه التصرّف في الإرث، وهذا حرام لأنه أكل للحقوق، ويعاقب الله تعالى عليه تماماً كأي سرقة أخرى لمال الغير، خاصة إذا أُخذت على استحياء، يقول رسول الله ﷺ: "لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ" (أخرجه البيهقي في شعب الإيمان) وهو ما ينسجم مع القول المأثور: ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام. إنما المال أصلاً مال الله تعالى يوزّعه كما يشاء في شرعه، ولا يحق للإنسان أن يغيّر منه.

١٠- حق ارتياد المساجد للصلاة والعلم وغيرها مما يُقصد المسجد له، لقوله ﷺ: "لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ، وَلَكِنْ لِيَخْرُجْنَ وَهُنَّ تَفِلَاتٌ" (أي غير متعطرات). (سنن أبي داوود ومسند أحمد) . وفي حديث آخر: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وبيوتهن خير لهن" (رواه أحمد وأبو داوود)، وعن أم حميد الساعدي أنها قالت: يا رسول الله إني أحب الصلاة معك قال: "قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير لك من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجدي" فأمرت فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها فكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل. (رواه أحمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان).

١١- مشاورة الرجل للأم عند تزويج ابنتها، للحديث عند أبي داوود عن ابن عمر: "آمروا النساء في بناتهن" أي شاوروهن الأمهات في زواج بناتهن، لأن في

ذلك استطابة أنفسهن، وهو أدعى إلى الألفة بين الزوجين، ودفعًا لما يترقب من الوحشة بينهما إذا لم يكن الزواج عن رضا الأم، إذ البنات إلى الأمهات أميل، ولأن الأم ربما علمت من حال ابنتها أمراً لا يصلح معه النكاح ويجهله الأب، والأمر للإرشاد والندب، ويحتمل الوجوب وهو الأصل. (التنوير في شرح الجامع الصغير). وفي شرح سنن أبي داوود: "وإن كانت المصلحة في التزويج فإنه لا يلزم لو امتنعت الأم أن يحصل الامتناع عن التزويج بسبب امتناعها، ولا يكون متعيناً ولازماً بحيث لو رفضت لا يكون زواج ولا يَتِمُّ". أي أن رفض الأم لا يؤخذ به إن ثبت أن المصلحة في غيره، وفق ما يراه القاضي.

الإسلام أتى برفع المظالم كلها وبكل أشكالها، وعلى رأس ذلك احترام الإسلام للإنسان بجنسيه، الرجل والمرأة، وقوانين الإسلام التي تستجيب لاحتياجاتهما بطريقة لائقة منظّمة جميلة، فإن ذلك يجعلنا نقول الحمد لله على دين الإسلام، والحمد لله على قوانين لم يضعها بشر، بل وضعها الإله العادل غير المتحيّز والعارف بدقائق احتياجاتنا وما يصلح للإنسان ويُسعده ويعينه على النجاح في هدف حياته.

هذا ما نفهمه في العلم المسمى "علم المقاصد" والذي يتضمن الشرح التفصيلي لمقاصد الله تعالى في خلقه وقوانينه، ففيه مقاصد الكون والخلق، ومقاصد التشريع التي فيها أسباب وضع التشريعات والقوانين كلها والفوائد التفصيلية التي تعود على الإنسان إذا استجاب لها والتزم. والواقع المعاش يرينا الأضرار الناجمة عن رفض قوانين الله تعالى وتشريعاته، واللجوء إلى تشريعات البشر كما سنرى فيما يلي.

/٢/. حقوق المرأة ضمن مفهوم الجندر (النوع الاجتماعي) في العالم الغربي:

* معنى مفهوم الجندر (النوع الاجتماعي):

الجندر (Gender) أو النوع الاجتماعي أو الجنوسة هو مجموع الأدوار والتوقعات التي تتوقعها المجتمعات من رجالها ونسائها. بكلمات أخرى، يعرّف الغرب الجندر على أنه مجموعة الصفات التي يربي عليها المجتمع أبناءه، فيتعرّف من خلالها الأبناء على أدوارهم كذكور وكإناث، ليس وفق ما هم عليه فعلاً بل وفق أعراف هذا المجتمع، وبذلك فإن المجتمع وأعرافه هي التي تعطي الذكر ادواره والأنثى ادوارها وبالتالي يمكن تعديل هذه الأدوار وإعطاء الجنسين أدواراً مختلفة (كونها مكتسبة وغير متضمنة في الخلق). وغالباً ما يُرى أن المرأة هي التي يحتاج دورها إلى تعديل بسبب ما يقع عليها من تحجيم وتهميش. الفرق بين الجنس والنوع الاجتماعي هو أن: الجنس هو الفروق البيولوجية الجسدية الطبيعية بين الذكر والأنثى، في حين أن النوع الاجتماعي هو توقعات المجتمع من كلٍ من الذكر والأنثى.

تتحدث بعض الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالنوع الاجتماعي عن القضاء على التمييز ضد المرأة من خلال تطبيق المساواة في النوع الاجتماعي[١] (مثل اتفاقية السيداو التي تُجبر الدول على قبولها بحجة أن رفضها هو تحيّز غير حضاري ضد المرأة!) من خلال إشراك الجميع في مخططات التنمية الشاملة المستدامة، وذلك بإعادة تحديد العلاقات بين الرجل والمرأة والمساواة بين الجنسين في كل شيء وتقليل الفجوة بينهما[٢].

---

(١) الطريق نحو المساواة في النوع الاجتماعي، صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة، مطبوعات الوكالة الألمانية للمساعدات، مشروع تعزيز المرأة ٢٠٠٨

(٢) أبعاد النوع الاجتماعي في مركز وزارة التربية والتعليم ومديرياتها، صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة، مطبوعات المكتب الإقليمي للدول العربية، ٢٠٠٧.

فالجندر يعد بإزالة الظلم عن المرأة، لكن هذا الظلم له قصة في الغرب.

بدأ الحديث عن المساواة في النوع الاجتماعي في الغرب بسبب ظروف صعبة عاشتها المرأة بعد الحرب العالمية الثانية في الدول الغربية، خاصة في الدول التي خرجت من الحرب منهزمة، حيث كان من نتائج هذه الحرب انخفاض عدد الذكور في الدول المشاركة في الحرب لانخراطهم في الجيوش، وبالتالي انخفاض عدد العمال المطلوب منهم إعادة البناء بعد الحرب، مما جعل المرأة تضطر لأن تحل محل الرجل في الخروج من المنزل للعمل وإعالة الأسر المتبقية، في قطاعات العمل الزراعية والصناعية والتعليمية وغيرها، بل حتى في معامل الأسلحة حيث بدأت النساء تحل محل الرجال فيها. غير أن المرأة العاملة في تلك القطاعات لم تكن تحصل على أجر مماثل لما يحصل عليه الرجل العامل في ذات الأعمال. وبالرغم من أن مشاركة المرأة في قوة العمل ارتفعت في الغرب بعد الحرب، بين عامي ١٩٤٥ و١٩٦٠ بنسبة ٥٥٪ وتراجعت مشاركة الرجل بنسبة ٧٠٪ ، إلا أن متوسط أجور الذكور العاملين اتجه نحو الارتفاع عن متوسط أجور الإناث، خاصة في الستينيات من القرن العشرين[١] ، بالرغم من توقيع اتفاقية المساواة في الأجور في منظمة العمل الدولية للأمم المتحدة عام ١٩٥١.

بسبب هذا الظلم، وانواع أخرى عانتها نساء الغرب، كتعرضها للاستغلال الجنسي أثناء وبعد الحرب وعدم تمكينها من الحصول على التعليم بسبب اضطرارها للعمل، قويت الحركة النسوية في منتصف القرن العشرين، والتي كانت قد بدأت على شكل مطالبات ضعيفة بحقوق المرأة في القرن التاسع عشر. ثم تطورت المطالبات تدريجياً لتتخذ الحركة النسوية نمطاً صراعياً علنياً بين الرجل

(١) نظرية الاجتماعية وقضايا المجتمع: صراع الحضارات على ساحة المرأة والشباب، د. علي ليلة، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠١٥.

والمـرأة، خاصـة عـام ١٩٤٩ بعـد صـدور كتـاب الفيلسـوفة الوجوديـة سـيمون دوبوفوار Simone de Beauvoir بعنوان "الجـنس الثـاني" The Second Sex[١] ثم في عــام ١٩٦٣ بصــدور كتـاب بيتي فريدن Betty Friedan بعنـــوان "اللغـز الأنثـوي " The Feminine Mystique[٢]، لتظهـر بعـد ذلـك المطالبـة بالمسـاواة المطلقة والحرية في الإجهاض، والمساواة في العمل والرواتـب، والقضـاء علـى الخطاب الذي يعتبر المرأة أداة متعة لا غيـر، بالإضـافة لطلـب تشـريعات متعلقـة بحرية التعليم والذمة المالية والطلاق والزواج في الثمانينـات والتسـعينات، ومـن هذه القوانين ما لم يتم البت فيه وإقراره إلا مؤخراً كحق المـرأة فـي الطـلاق دون ضرر مباشر يقع عليها، والذي لم يتم إقراره إلا عام ٢٠١٠، في حين أقر الإسـلام حق المرأة بطلب الطلاق في حال الكره، وهو الخلع، منذ ١٤ قرناً.

في أواخر الثمانينات ظهرت تيارات أخرى لـم تكتـفِ بطلـب المسـاواة مـع الرجل ولكنها تعادي الرجل وتؤمن بأفضلية الأنثى ومركزيتها وتقديسـها، بحيـث لم تعد بحاجة إلى الرجل أصلاً. وتتلخص المطالبات المحـددة للحركـة النسـوية في الغرب بالبنود التالية:

١). حريـة التعلـيم للمـرأة واختيـار المجـال الدراسـي وفـق الرغبـة الشخصـية والمواهب تماماً كالرجل.

---

(١) يتضمن الكتاب تحليل مفصل لتاريخ اضطهاد المرأة عبر العصور وكيف وصلت إلى اعتبارها "الجنس الثاني" وأسباب عدم تكتل النساء لمواجهة الواقع الذكوري، ويعتبر الكتاب جامع لمبادئ فلسفة الحركة النسوية في القرن.

(٢) تتحدث الكاتبة عن "الصورة المشوهة للمرأة الأمريكية التي تقنع نفسها بان تحقيق ذاتها يتم بتحولها إلى ربة منزل تعتني بزوج ناجح وبيت مرتب وأولاد مميزين، مما حوّل الأمريكيات إلى ذوات ناقصة يعانين من علل نفسية كاللغز لم يستطع الأطباء النفسيين علاجها"، وتحث الكاتبة النساء على تحقيق ذواتهن بالتعليم والعمل.

٢). حصول النساء على فرص عمل متساوية مع فرص عمل الرجال.

٣). الاستقلال الاقتصادي للمرأة عن الرجل من خلال كسب المال بشكل مستقل.

٤). الحرية الجنسية للمرأة، أي حرية الممارسة دون المعاناة من النتائج المترتبة جسدياً واجتماعياً.

وكانت النتيجة هي الاستجابة لهذه المطالبات التي تمثلت بحصول المرأة الغربية على ما يلي:

١- إمكانية طلب الشهادة الجامعية في التخصص المرغوب، والذي غالباً ما أصبح منسجماً مع ما هو مطلوب في سوق العمل وما يدر المال الكافي للعيش المستقل، وليس بالضرورة مع الرغبة الشخصية والمواهب.

٢- فرص عمل متساوية مع الرجل من حيث الكم والنوع من خلال السماح للمرأة بأعمال كانت حكراً على الرجل، كقيادة الشاحنات والرافعات وأعمال الهندسة والبناء والإدارة التنفيذية للمؤسسات والسباكة والحدادة والنجارة والطيران، وهي في معظمها أعمال تتطلب جلداً وقوة جسدية، وعمل متواصل للحصول على الترقيات والتقدم الوظيفي بالاستمرارية، الأمر الذي أنزل موضوع الزواج والإنجاب إلى أسفل سلم أولويات المرأة خلال فترة شبابها، فأجّلته إلى حين تحقيقها لذاتها في العمل نحو مستقبلها المهني.

٣- الاستقلال الاقتصادي عن الرجل من خلال إنفاق المرأة على نفسها ورفضها إنفاق الرجل عليها، غير أن هذا اضطرها للاستمرار في العمل تحت كل الظروف لكي يستمر توفر المال اللازم لمصاريف الحياة اليومية من أجرة منزل وطعام وشراب ولباس وغيرها، فالانقطاع عن العمل ليوم واحد يعني توقف المال.

٤- توفر حصول المرأة (من مرحلة الصبا المبكرة في المدارس والجامعات) على وسائل وأدوية منع الحمل والإجهاض بتوزيعها مجاناً، فتحصل على المساواة

مع الرجل في إمكانية الممارسة الجنسية دون أن تكون تفاجأ بالحمل والإنجاب وتولي مسؤولية الأطفال، في حين يختفي الرجل عن الأنظار ليبحث عن المتعة في مكان آخر.

ومن النتائج الاجتماعية البارزة التي يعاني منها الغرب حالياً، ويتم نقلها للعالم كله، وللعالم العربي الإسلامي خصوصاً:

* ارتفاع نسبة النساء المؤجلات للزواج والإنجاب.
* ارتفاع نسبة العزوف عن الزواج نهائياً والرغبة بالحياة المستقلة عن الآخرين.
* ارتفاع نسبة الزوجات والأمهات اللاتي يعملن خارج المنزل بدوام كامل.
* ارتفاع نسبة حالات الطلاق التي سببها رغبة المرأة بتحقيق ذاتها بالعمل والعيش الحر.
* ارتفاع نسبة حالات الإصابة بالأمراض الجنسية الناجمة عن الممارسات خارج الزواج.
* ارتفاع عدد الأطفال دون أب والذين يعيشون مع أم عازبة دون زوج.

● **انتشار الأفكار التالية:**

- أن الزواج يلغي شخصية المرأة ويحوّلها إلى مكانة أقل شأناً في المجتمع من المرأة العازبة العاملة.
- أن الزواج يجعل المرأة في مستوى أقل بالعلم والحرية والاستقلال.
- أن إنجاب الأطفال عبء نفسي واجتماعي واقتصادي، وأنه لا يناسب طبيعة الكثيرات.
- الزواج والإنجاب وأعمال المنزل تتسبب في تقليص عقل المرأة وتحطيم تحقيقها لذاتها.

ومن المؤسف أن محاولات الحركة النسوية في إيجاد العدل و"تحرير" المرأة لم تنجح في تخليص المرأة من الظلم، بل إنها أودت بالأسرة كلها إلى حياة تعيسة ثم إلى مجتمع بائس مفكك يسير نحو الانقراض، دون أن تحلّ المشاكل التي أُنشئت من أجلها أساساً، فحتى اليوم نجد أن النسب المئوية المتعلقة بالفجوة في أجور العمل بين الجنسين ما تزال موجودة.

بالرغم من أن النساء يشكلن حوالي نصف قوة العمل في بريطانيا، إلا أن رواتب النساء تقل بنسبة ١٧٪ عن رواتب الرجال[١]، وتصل الفجوة في الأجور إلى ٢٣٪ في الولايات المتحدة الأمريكية[٢]، وإلى ٢٢٪ في اليابان[٣]، وإلى ١٦٪ في استراليا[٤]، وذلك بناءً على دراسات منها ما أجرته منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، وهي منظمة دولية تهدف إلى التنمية الاقتصادية وإنعاش التبادلات التجارية OECD (Organization for Economic Co-operation and Development). وفي مواجهة هذا الفيضان من الأفكار الفاشلة والممارسات المغرضة، لابد من التفكير في أسس ومفاهيم لحلّ الفوضى في حقوق المرأة والأسرة:

أن تثق المرأة والرجل على حد السواء بقوانين الله تعالى التي نص عليها لتنظيم حياة الأفراد والأسرة معاً والتي هي عين العدل المبنيّة على معرفة الله تعالى بطبيعة خلقه وما يناسب هذه الطبيعة عند المرأة والرجل.

---

(١) مركز الدراسات السياسية، القاهرة، بحث عام ٢٠١٠.

(٢) تقرير الفجوة في الأجور للعاملين من الجنسين بدوام كامل وعلى مدار العام (FTYR). الصادر عن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية .

(٣) تقرير وإحصاءات سوق العمل الصادر عن الحكومة اليابانية لعام ٢٠١٥.

(٤) تقرير المكتب الاسترالي للإحصاء حول الفجوة في الأجور بين الجنسين لعام ٢٠١٥.

المرأة والرجل ليسا في صراع ولا تنافس على المركز الأول. ليس في مصلحة المرأة أن تناضل لتحظى بقيادة الأسرة مالياً ولا نفسياً، بل من مصلحتها أن تزهر حيث أنبتها الله تعالى، فهو وحده العارف بما يناسبها ويسعدها.

عندما يأتي زواج المرأة وإنجابها في العشرينات من العمر فإنه يكون أنسب وقت لها في الاستعداد لذلك جسدياً ونفسياً، وتستطيع أن تؤجل العمل لوقت لاحق يكون فيه أطفالها قد دخلوا المدارس وتوفّر لها وقت الفراغ الكافي لمزاولة العمل بدوام جزئي أو كامل وفق المتاح والظروف الملائمة.

تأجيل المرأة لزواجها وإنجابها إلى أن تحقق ذاتها بالعمل يعني أنها ستجد نفسها مضطرة لإيقاف مسيرتها المهنية في الثلاثين، بعد أن اعتادت حياة العمل، والاتجاه إلى محاولة تكوين الأسرة والإنجاب، بعد أن استهلكت الأيام الكثير من صبرها وصحتها وقوتها البدنية.

من الوهم أن تظن المرأة أن إثبات ذاتها وتحقيق سعادتها يأتي بالعلم الدنيوي والعمل والمال، وأن رفض الزواج والإنجاب وتأجيلهما عمداً ممكن أن يتم دون أية خسائر فادحة.

على الوالدين دور أساسي هو أن يعملا على تهيئة الأبناء نحو تكوين أسرهم في المستقبل من خلال:

- تعريفهم التدريجي وفق أعمارهم وإفهامهم هدفهم في الحياة من التعرف على الله تعالى والتقرب منه.
- تدريبهم على مهارات فكرية وعملية تكسبهم الحكمة والصبر وتحمل المسؤولية والقدرة على إدارة حياتهم بطريقة شرعية مما يجعلها حياة ناجحة وسعيدة في الدنيا والآخرة.

٢/ . "تشييء" المرأة في وسائل الإعلام الغربية (والعربية أيضاً):

مع تطور وتوسع دور وسائل الإعلام وتقنيات التواصل التي تجتاح عالمنا اليوم، نرى أن المعلِن عن بضاعته لم يعد يكتفي بالإخبار عن جودة بضاعته، بل تجاوز الأمر للترويج من خلال التحايل على وعي المشاهد بأية وسيلة لإبهاره وتوجيهه لشراء البضاعة، ولو احتاج الأمر للإسفاف ونقل الصور المشوهة في القيم وترسيخها في ذهن المشاهد. ولتحقيق هذا الغرض يستخدم الإعلام الغربي تقنيات إعلامية تعتمد على نتائج أبحاث علم النفس الاجتماعي، وتستخدم مغالطات وعبارات مقنعة لكنها غير سليمة أو واقعية، بالإضافة للعديد من الأساليب المدهشة الماكرة الأخرى التي يجب التعرّف عليها كي لا يكون المرء تحت سيطرة أحد سوى عقله الواعي. وربما لا يدرك مشاهد الإعلام الغربي أن مجموع ما يراه من الإعلانات الترويجية لا يقل عن ٣ ساعات يومياً، أي حوالي ١٣٪ مما يشاهده يومياً، وتبلغ العائدات المالية لهذه الساعات الثلاث حوالي ٧٨ بليون دولار سنوياً، وفقاً لما ذكرت تقرير دراسة أعدتها وكالة نيلسن[١] Nielsen حول الإعلام الغربي لعام ٢٠١٤.

التسويق الإعلاني يعني عرض السلعة بطريقة تقنع المستهلك بشرائها. غير أن ما نراه في الإعلام أكثر من ذلك. نرى في الإعلام القصصي، أي الأفلام السينمائية والمسلسلات بالإضافة للبرامج التليفزيونية والتيارات الإعلامية في وسائل التواصل الاجتماعي المنتشرة حالياً، نرى فيها توجهاً نحو إيصال رسائل محددة ومفاهيم تهتم بتحقيق مصالح معينة لمن يعلن عن سلعته، حتى لو أدى بيع هذه السلعة إلى فقدان قيم إنسانية ومجتمعية، بل ومن المُعلنين الغربيين من تكون

(١) وكالة نيلسن هي شركة أمريكية/ هولندية عالمية تختص بالإحصائيات والمقاييس في مجال الإعلام ومعلومات المستهلك والذكاء الشبكي.

سلعته الأساسية والمُخطط لها هي القضاء على قيم محددة واستبدالها بقيم ضالة للتمكن من التحكم بالشعوب واستعمارها فكرياً.

ويمكن للمتابع للإعلام الغربي أن يلاحظ التواجد المستمر للمرأة على وسائل الإعلام المرئية المختلفة بدءً من الصور في الإعلانات الطرقية وفي المجلات والجرائد والمطبوعات والمنشورات، ثم العرض على الأنواع المختلفة للشاشات كالتلفاز والسينما والإنترنيت على شاشات الحاسوب والهواتف المحمولة والأجهزة الذكية. غير أن هذا الكم الهائل من التواجد لا يعني بالضرورة رسائل إيجابية، فما نلاحظه من خلال الأرقام والإحصائيات أن مشاركة المرأة في الإعلام الغربي تتميز بكثرة استخدام صورة جسد المرأة كمنظر جميل ومادة للديكور والترويج، وهذا ما يوصف بمصطلح "تشييء المرأة" أي استخدامها كشيء للعرض وليس كإنسان (Objectification of women).

يعود هذا الاستغلال والتشييء لجسد المرأة إلى نهاية القرن التاسع عشر عندما تحدث علماء النفس الغربيون عن الغريزة الجنسية واستخدامها للتأثير في السلوك، فخطر في أذهان الشركات الإعلانية إمكانية استخدام هذه الغريزة في التأثير على السلوك الاستهلاكي للفرد، فجاءت فكرة استغلال جسم المرأة ومفاتنها للترويج لأي سلعة مهما بلغت الإساءة للمرأة ولكرامتها وجسدها وقيمها، فتشييئها تفريغ لها من إنسانيتها وكرامتها وتناقض صارخ مع الإسلام والنسيج الأخلاقي في المجتمع.

ولم يعد ذلك مقتصراً على إعلانات تعرض لمنتجات تخص المرأة، بل أيضاً لمنتجات يستخدمها الرجال كماكينات الحلاقة والسيارات وعطور الرجال، ويظهر فيها الجانب الجسدي من العنصر النسائي للإغراء، ولذلك نرى ظهور مصطلح إنجليزي لإعلانات السيارات الألمانية "المتحيّزة جنسياً" ضد المرأة:

Sexist car advertisements وهي الإعلانات التي تـروّج للسـيارات إمـا بوجـود فتاة جميلة في ملابـس غيـر محتشـمة بجانبهـا، أو بالسـخرية ممـا يسـمى القيـادة النسائية السيئة.

وعلى صعيد الأفلام والمسلسلات، تثبت دراسة إحصائية لإحدى المسلسلات الأمريكية المتلفزة المشهورة التي تراها شريحة كبيرة من الشباب حول العـالم أنـه يوجد في الحلقة الواحدة (نصـف سـاعة) مـن ٣ إلـى ٤ مواقـف تحـرّش جنسـي وإشارات إلى جسد المرأة كشيء جميل مرتبط بعلاقة مباشرة مـع غبائهـا. وأظهـر تحليل ١٨٢ مقطع فيديو غنائي غربي أن أكثر من ٨١٪ منها تحتوي على نساء فـي ملابس فاضحة، وتظهر المرأة في ٥٧٪ من هـذه المقـاطع كمـواد ديكـور تتمايـل دون أن تؤدي أي دور. ووجـدت الإحصـائية أن حـوالي ٧٠٪ مـن الكلمـات فـي أغاني الراب الإنجليزية تتضمن إيحاءات جنسية مهينة للمرأة.

بل حتى أن معظم الأفلام الكرتونية الحديثة تعطي دور البطولة لفتيات ونساء بملابس كاشفة ومغرية لا تنسجم مع أدوار الشخصيات، كالشخصيات الأساسـية في عالم والت ديزني (بوكاهونتس، موآنا، حورية البحر، وحتى الساحرة الشمطاء أورسولا!). أما الموضوعات فمعظمها تكرس نمـط عـاطفي للأميـرة الرومانسـية التي أقصى أحلامها هي حب الأمير (سندريلا، سنو وايت، الجميلـة النائمـة، جميلـة والوحش، إلخ). أما ألعاب الفيديو الإلكترونية فتتضمن حوالي ٤٦٪ منها موضوعات وإيحاءات جنسية ومعظم النساء في هذه الألعاب ترتدي ملابس ضيقة وكاشفة.

ويمكننا تخيل النسب المئوية الهائلة لإظهار المرأة في الأفلام السينمائية للكبـار كعنصر إغراء والتركيز على جسدها بأشكال وملابـس مثيـرة والتصـرف بطريقـة تثيـر انتباه الرجل، وذلك تكريساً لفكرة أن الهـدف الأول للمـرأة هـو لفـت انتبـاه الرجـل، وخاصة لجسدها، وأن سعادتها الطبيعية هـي فـي الاهتمـام بشـكلها وقصـات الشـعر

ومساحيق وعمليات التجميل وهوس التنحيف والسعي نحو الجمال الجسدي المثالي ومقاييسه المحددة بالسنتيمتر، كمقاييس الطول وعرض الأكتاف ومحيط الصدر والخصر المثالي، مقاييس لا تتوفر إلا في ٢-٣٪ من النساء الأمريكيات.

ولمعرفة بعض أسباب هذا التوجيه والأغراض منه يكفي أن نذكر أن كل توجيه يخفي وراءه عائدات سنوية بأرقام فلكية حوّلته إلى صناعة حقيقية إيراداتها (على سبيل المثال لا الحصر) في أمريكا وحدها لعام واحد فقط كما يلي:

- صناعة عمليات التجميل: ١٣,٢ مليار دولار أمريكي
- صناعة التنحيف وأطعمة وملابس وأدوات الريجيم: ٦٠ مليار دولار أمريكي.
- صناعة مساحيق التجميل: ٩٥ مليار دولار أمريكي.
- صناعة الملابس والموضة: ٣ تريليون (٣٠٠٠ مليار) دولار أمريكي.
- عائدات ٣ أيام (٣٠/ ٣/ ٢٠١٨ إلى ١/ ٤/ ٢٠١٨) لأول ١٠ أفلام سينمائية في السينما الامريكية: ١١٥ مليون دولار.
- عائد ألعاب الفيديو: ٣٥ مليار دولار أمريكي[١].

نتائج تشييء المرأة على المجتمع الغربي (والتي تنتقل تدريجياً إلينا):

١- الإنفاق على إعلام التسلية والترفيه في الأجهزة الذكية التي يستخدمها الأطفال والشباب أكثر من أي نشاط طبيعي رياضي أو فكري أو اجتماعي عملي يقومون به، فلم تعد نشاطاتهم متعلقة بتطورهم الفكري أو الجسدي أو الروحي.

٢- ثقافة الاستهلاك: وهي الثقافة التي تُدخل إلى العقل مفهوم النفعية المؤقتة، أي "استخدام" الأشياء والأشخاص ثم الإلقاء بهم بعيداً بعد انتهاء المنفعة والمصلحة المطلوبة.

---

(١) المصدر: البيانات الإحصائية حول التسويق العالمي لعام ٢٠١٨:
www.marketingcharts.com

٣- استخدام مقاييس الإعلام التي تحدد مدى الجمال والنجاح الاجتماعي، وهي كلها معايير متعلقة بالجسد ومقاييس الطول والوزن ولون البشرة والشعر والعيون، رغم أن هذه المقاييس متغيّرة عبر الزمن، ففي السابق كانت السمنة عند المرأة مقياس الجمال أما اليوم فالأكثر جمالاً هي ذات النحول المفرط، فمن يحاول تحقيق مقاييس الجمال الإعلامية لإرضاء المجتمع فسيظل يركض وراء "تعديلات" الجسد بلا نهاية، مع شعور دائم بعدم الرضا عن النفس والفشل.

٤- تقييم الشباب لأنفسهم وهويتهم وقيمتهم الإنسانية ونجاحهم وفشلهم من خلال أشكالهم ومظاهرهم، فمن يطابق شكله ومظهره المعيار الإعلامي كانت قيمته أعلى وكان نجاحه الأعظم بين أقرانه.

٥- الاكتفاء بالجمال الخارجي السطحي:مفهوم النجاح المستمد من الإعلام في المجتمع هو الحصول على المال والشهرة والجمال الجسدي والممتلكات، وهذا كله جمال خارجي سطحي وليس دليلاً على أي جمال داخلي وأخلاق كريمة.

٦- ثقافة تشييء المرأة، والذي يشير إلى تحويل المرأة إلى شيء يستخدم ثم يرمى بعيداً، وكذلك العلاقات عندما يخبو الحماس لها تُطرح جانباً ويُبحث عن غيرها.

٧- ثقافة المتعة الآنية وتجاهل المستقبل: وتعني فهم السعادة على أنها متعة اللحظة الحالية وتلبية طلبات الجسد من طعام وشراب وجنس وراحة، وهذا مفهوم يلغي السعادة الحقيقية في ما هو حقيقي وطويل الأمد، كسعادة تغذية الروح بالتعرّف على خالق وطاعته والتقرب منه والأمل بحياة هانئة أبدية في المنزل الأول: الجنة.

٨- ترك القيم الدينية والأخلاقية وإسقاطها من حساباتنا في الحياة اليومية: وهو ناتجٌ عن تطبيق القيم المادية الغربية، مما يوصلنا إلى نسيان القيم الدينية

والأخلاقية في الحياة، فتكون النتيجة هي الفشل في تحقيق السعادة في الدنيا ورضا الله تعالى في الآخرة، وهذا فشل في تحقيق هدف الحياة الذي جئنا إلى الحياة الدنيا من أجله: أن نتعرّف على الله تعالى وتكون علاقتنا به علاقة عبودية طيبة وحب عميق يؤهلنا لسعادة أبدية في الحياة الحقيقية القادمة، الآخرة.

ولابد كذلك أن نذكر الأهداف التي سعت ومازالت تسعى إليها سياسات الدول العظمى للسيطرة على الشعوب ونهب ثرواتها الإنسانية والمادية من خلال النخر في قيمها ومبادئها لتضعف وحدها شيئاً فشيئاً ودون أن تكلّف الدول العظمى نفسها العناء، وذلك بالبدء من مؤسسة الأسرة والمرأة فيها، وإفساد قيمها ليسقط بعد ذلك كل شيء.

يجب أن نعي أن المواد الإعلامية والثقافية والإعلانات المستوردة لها خلفيات وقيم وأفكار لا تنسجم أبداً مع قيم وأخلاق مجتمعاتنا العربية والإسلامية. يجب أن نعترف أن موضوع استغلال المرأة في الإعلان هو موضوع قيمي بالدرجة الأولى، فالمجتمع الذي يحترم المرأة لا يسمح باستغلال جسدها وجمالها لبيع سلعة أو خدمة ما.

ويجب كذلك أن نعي أن الإعلانات التي تنتهك الحرمات قد أُنتجت لجمهور غربي له قيمه ونظرته للمرأة، وما يصلح للغرب لا يصلح بالضرورة للشرق. بل إن الرسائل المتضمنة في الإعلام كلها فكر وسياسة وأيديولوجية وقيم وأنماط حياة، وعندما نقوم بدبلجة إعلان أو فيلم أو منتج إعلامي صُمّم للغرب ثم نقدمه للجمهور في مجتمعنا الإسلامي، فهذا يعني مشاركتنا لثقافة الغرب وقيمه ونظرته للإنسان وخاصة المرأة. والأخطر هو أن تقوم وكالات الإعلان العربية والشركات المحلية بتبنّي نفس الطرق والوسائل والاستراتيجيات في الإعلام الغربي، فتقدم جسد المرأة للتأثير في المستهلك حتى لو أدى ذلك لخدش الحياء وتشييء الإنسان وتجاهل القيم الدينية والأخلاق.

والصواب المطلوب تحقيقه يأتي على يد:

* الشركات المنتجة للبضائع لرفض هذا النوع من الترويج.
* الشركات الإعلامية الخاصة والمجتمع المدني لصنع إعلام يراعي قيم الإنسان العربي المسلم.
* المؤسسات الإعلامية التي تضع أطراً منهجية وتنظيمية لضمان جودة الإعلام واحترامه لقيم المجتمع وأخلاقه.
* الأفراد لحماية قيم ومبادئ المجتمع بتوعية أنفسهم وأبنائهم بما يجري حولهم، وعدم النظر بسذاجة للمسلسل أو الفيلم أو التحليل الإخباري أو الإعلان من منظور الشكل دون المضمون.

التلوث الثقافي والضجيج الذي يصم أذان العالم هذه الأيام، في عصر تكنولوجية الاتصالات وثورة المعلومات، يجب أن ينظر له بتأن وحذر ويجب الوقوف عند كيفية التعامل معه، والبدائل المطلوبة لتجنب الانجراف الثقافي والقيمي والحضاري، ولذلك جزء من الحل الأمثل هو الإنتاج وصناعة المعرفة وتقديم البديل المحلي الذي يعكس قيم المجتمع وتقاليده وتراثه ونسيجه الأخلاقي. فمن غير المنطقي أن ننتظر من الآخر أن ينتج لنا فيلماً أو إعلاناً أو مسلسلاً يعكس قيم مجتمعنا ويحترم المرأة ونسيجنا الأخلاقي، فالأمر منوط بأصحابه.

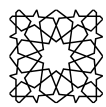

الفصل الرابع

المرأة والرجل والحب

١/ . المعنى العام للحب في علم النفس:

الحب في علم النفس بين الرجل والمرأة هو الميل الوجداني والانجذاب العاطفي تجاه شخص محدد من الجنس الآخر، دون أن تكون هذه المشاعر متعلقة بمصالح أو أهداف مادية أو جسدية، بل تكون حباً للفرد بذاته، وليس لأي سبب آخر. وقد قسّم علماء النفس مراحل الحب إلى ثلاث مراحل متتالية:

١- **مرحلة الانبهار:** وهي أول مرحلة، ويشعر فيها المرء بالإعجاب بشخص آخر، فيراه كامل المواصفات لا ينقصه شيء، ولا يرى فيه عيوباً.

٢- **مرحلة الاكتشاف:** وهي مرحلة البدء برؤية عيوب الآخر، فلم يعد يعتقد أنّ محبوبه إنسان كامل المواصفات بعد أن رآه على طبيعته، بل لاحظ فيه عيوباً.

٣- **مرحلة التعايش:** وهي المرحلة الأصعب وتتسم بالواقعية، فإذا تجاوزها الطرفان بنجاح فهذا يعني أنّهما وصلا إلى درجة عميقة من المحبة بحيث يعرف كلٌ منهما عيوب الآخر ويعرف طريقة التعامل والتعايش معها.

٢/ . الحب الإعلامي:

يعتبر علماء النفس وعلماء الاجتماع أن الإعلام هو أحد المؤثرات الرئيسية التي تؤثر بشكل جوهري في تشكيل طرق تفكير الإنسان وفهمه للعالم من حوله. ولذلك من المفيد أن نفهم الإعلام ونتعرّف على أخطار تأثيره، خاصة لأن تأثيره من النوع الضمني الخفي الذي يدخل إلى العقل الباطن لكل إنسان حتى الأطفال، ويقنعه بشكل غير مباشر دون أن يشعر.

وعند التدقيق والتأمل بالمفاهيم والرسائل المبثوثة عبر وسائل الإعلام، بإمكان الإنسان الواعي أن يلاحظ نمطاً متكرراً حول العلاقات الإنسانية، وعلى رأسها الحب بين الرجل والمرأة، ويساهم في قبول المجتمع لها وتثبيتها في العقول.

مفاهيم متعلقة بالحب وناتجة في عقولنا بناءً على ما نراه في وسائل الإعلام:

١- ما هو معنى الحب؟ هو حالة من مشاعر الانجذاب العاطفي الذي يشعر به الرجل أو/ والمرأة، من النظرة الأولى وبشكل غامض عجيب، فتجتاح الكيان كله عاصفة عاطفية يشعر بها المرء تجاه الآخر ولكن دون تبرير واضح.

٢- ما هي ظروف وزمن الحب؟ يأتي الحب قبل الزواج طبعاً، من حيث لا نحتسب. وقد يأتي ضمن ظروف زمنية غير مؤاتية إطلاقاً وغير مناسبة، لكنه يفرض نفسه وبقوة.

٣- هل يستلزم التكافؤ؟ بالتأكيد لا. قد يجمع بين قلبين أحدهما من طبقة فكرية ومادية وظروف عائلية مختلفة تماماً عن الطبقة الأخرى، بل يُفضل أن يكون الأمر بلا تكافؤ ليصبح صراع الحبيبين ضد العالم بأسره أكثر رومانسية.

٤- كيف نعبّر عن الحب؟ بالهدايا المختلفة من زهور وقلوب وألعاب وبالتواصل المتكرر بالهاتف وغيره، وبتبادل النظرات والابتسامات والرسائل التي لا يعرف تفسيرها إلا الحبيبين، وبمحاولة اللقاء دوماً، وبالتشبث به ضد كل من يريد الفراق.

٥- هل يمكن للزواج أن ينجح دون المرور بمرحلة الحب قبله؟ لا، فهو البداية الوحيدة الصحيحة لكل علاقة زواج ناجح. ودليل ذلك هو أن الزيجات التي تتم عن طريق الأهل دون علاقة حب تسبقها لابد أن تنتهي بالفشل.

٦- كيف يكون تصوّر حياة الحبيبين بعد زواجهما؟ لا يهم، فالحب هو الغرض بحد ذاته وهو كافٍ لتجاوز كل الصعوبات.

٧- هل يمكن للمحب أن يؤثّر على حبيبه فيغيّره؟ نعم، فالحب يجعل المرء مستعداً للتغيير في سبيل من يحب.

٨- هل يمكن نسيان مشاعر الحب؟ لا، بل هي مشاعر تبقى للأبد لا يحلّ محلها شيء ولا تحصل إلا مرة واحدة في العمر.

٩- هل الحب حرام؟ نعم، والمجتمع يراه عيباً ولا يتقبله، ولذلك لابد من تخبئته.

١٠- هل يستمر الحب دوماً؟ نعم وإلى الأبد وعلى نفس الشكل والقوة.

عندما ننظر إلى الحب بالمعنى المذكور الذي تعرضه وسائل الإعلام وتكرّسه المجتمعات المتأخرة دينياً، فإننا نتعرض لخطر الخداع وكما أن الجوع يدفع المرء للقبول بطعام سيء، كذلك فإن عطشنا للحب قد يدفعنا لقبول مستوى أدنى مما يناسبنا ثم نندم لاحقاً.

٣/ . الحب الحقيقي ومقارنة معناه بالمعاني المزيفة للحب كما تصفه وسائل الإعلام:

الحب الحقيقي يعود على الإنسان بتحقق الهدف الأساسي الذي وُجد الحب من أجله، وهو الاستقرار النفسي والسكينة والاطمئنان. ولشرح هذا المعنى الحقيقي وتمييزه عن الحب الإعلامي المزيف. أما المفاهيم الأساسية التي يبنى عليها الحب الحقيقي فهي:

١- ما هو الحب؟ هو حالة من مشاعر الانجذاب العاطفي والنفسي من المودة والرحمة التي يشعر بها الزوجان، ليس من النظرة الأولى (التي هي مجرد إعجاب وقبول ظاهري) بل بسبب ما سبق لهما من طاعة الله تعالى والالتزام بأوامره. هذا يعني أن الحب عطية من الله تعالى ومكافأة للزوجين على تقيّدهما بأوامره تعالى المتعلقة بالحلال والحرام والعلاقات السوية بين الرجال والنساء، وحُسنِ فهمهما للزواج كأداة تيسّر تحقيق هدف الإنسان في التعرف على الله تعالى والنجاح في امتحانه.

٢- ما هي ظروف وزمن الحب؟ يأتي الحب بعد الزواج وليس قبله ، ويأتي فعلاً من حيث لا نعلم، ولكن ضمن ظروف مقدّرة عند الله تعالى وبترتيبه المناسب، وينتج عن ذلك حلول المشاكل وتحسين الأوضاع للجميع.

٣- هل يستلزم التكافؤ؟ نعم، وهو شرط لازم لضمان استمرارية الزواج، ومن أجل تحققه الهدف الأساسي منه: الاستقرار النفسي، ليفرّغ الإنسان لهدفه في النجاح في امتحان الحياة.

٤- كيف نعبّر عن الحب؟ يختلف باختلاف الشخصيات ووسائل التعبير، غير أن أفضل الطرق هي الأكثر صدقاً، بلا تزييف ولا مظاهر فارغة ولا مبالغة بالماديات.

٥- هل يمكن للزواج أن ينجح دون المرور بمرحلة الحب قبله؟ نعم، فالحب الحقيقي هو ذلك الذي يمنحه الله تعالى بعد الزواج، فيجمع بين الزوجين بمودة ورحمة أعمق وأكثر واقعية من مشاعر الحب الرومانسي الذي نراه في الروايات والأفلام. في الحقيقة، إن البداية التي تتضمن سلوكاً محرماً لن يُباركها الله إلى أن يقرر الطرفان التوبة والندم على ما كان. فالزواج الناجح هو وحده القائم على علاقة حلال نظيفة، أو الذي ترافقه توبة صادقة تجبّ ما قبلها. هذا من جمال الدين الإسلامي والعلاقة مع الله تعالى، فمن أخطأ لا يعدم الوسيلة بإعادة صفحته ناصعة البياض بدخول باب التوبة المفتوح دوماً للصادقين. كما أن القول بفشل الزيجات التي لا يسبقها علاقة حب هو تعميم خاطئ، وفشل بعضها له أسباب مختلفة.

٦- كيف يكون تصوّر حياة الحبيبين بعد زواجهما؟ على الزوجين أن يفكرا بعقل وأن يقوما بما يلي:

١) أن يفهما أن الحب ليس هو الغرض بذاته، بل هو إحدى الوسائل التي تعين الإنسان على الزواج، والذي يعين الإنسان بدوره على تحقيق هدف الحياة: التعرف على الله تعالى والتقرّب منه.

٢) البحث عن الحكمة بالعلم والفهم: الحكمة تأتي بطلبها من الله والعلم. وعلى الزوجين أن يتعلما ما يتعلق بالزواج من قوانين وصحة وتواصل من محاضرات التأهيل للزواج، فالجهل أساس المشاكل، والعلم يحلها.

٣) الاتكال على الله تعالى، فمنه وحده العون، وطلب التوفيق منه من خلال الطاعة والتقوى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾. لا يمكن للطلب الصادق الذي يتوجّه فيه القلب إلى الله تعالى بالدعاء ويتذلل بصدق وانكسار وطلب قضاء الحاجات في الأوقات الفضيلة ما قبل الفجر وغيره، لا يمكن لهذا الطلب إلا أن يُستجاب في الوقت المناسب.

٧- هل يمكن للمحب أن يؤثّر على حبيبه فيغيّره؟ لا. ربما يجعل الحب المرء مستعداً للتغيير في سبيل من يحب، لكن هذا النوع من التغيير غير ثابت لأنه غير مدفوع برغبة ذاتية. التغيير لإرضاء الآخرين يتبدّل كلما تبدلت علاقتنا بهم.

٨- هل يمكن نسيان مشاعر الحب؟ جزءٌ كبيرٌ من مشاعرنا ناتج عن قراراتنا في أن نحب ونكره، ولذلك نرى أمر الله تعالى لنا بأن نحب رسوله الكريم، بأن نبذل الجهد للتعرّف عليه، فيكافئنا الله تعالى بتثبيت هذا الحب في قلوبنا التي هي بين اصبعين من أصابع الرحمن، فإن طلب الإنسان من الله تثبيت القلب ثبت، وإن طلب تنظيفه من المشاعر التي لا يرضاها الله وتقطع على الإنسان دربه إلى الله يستجيب الله ويعين الإنسان على تنظيف قلبه. كما أن حب البشر لبعضهم يمكن أن يحصل أكثر من مرة في العمر. رسول الله ﷺ أحب زوجته السيدة خديجة حباً عظيماً ثم أحب السيدة عائشة حباً عظيماً آخر، وكذلك بقية زوجاته، كل زوجة لها مكانتها. غير أن الحبيب الأول الذي يُعشق مرة واحدة دون تغيير هو الله تعالى.

٩- هل الحب حرام؟ لا. ليس الحب حراماً ولا عيباً، بل هي مشاعر تولد في قلوبنا، لكن الحرام هو أن يتجه بعد الإعجاب الأول نحو سلوك غير شرعي.

في الحقيقة يجب توجيه مشاعر الحب نحو الطريق السوي المقبول عند الله تعالى ليباركه وليستمر. أما الاتجاه نحو التواصل دون رباط شرعي فلا يرضاه الله تعالى وليس من مصلحة الإنسان. الإثم ما حاك في صدرك وخشيت أن يطّلع عليه الناس. أما الطريق السوي فهو تواصل الرجل صراحة مع ولي أمر المرأة للتقدم لخطبتها وفق الشرع، أو استخدام الوسيط كما فعلت السيدة خديجة في زواجها برسول الله ﷺ، بطريقة محترمة تُكرم المرأة والرجل.

١٠- هل يستمر الحب دوماً؟ لا، بل يتطور بالعشرة إلى ما هو أعمق منه: المودة والرحمة التي يُنعم بها الله على الزوجين فيتجاوزا الإعجاب الأولي السطحي ويصلا إلى الألفة ويثبتهما الالتزام عندما تزداد صعوبات الحياة.

الغرض من خلق الحب بين الناس هو تسهيل حياة الإنسان ورفده بشريك وسند عاطفي يسنده ويشركه في أمره ويمكّنه من تحقيق هدف حياته في التعرّف على الله تعالى والتقرّب منه وحب رسوله الكريم واتباعه، وبالتالي النجاح في اختبار الحياة. وكلُ حبٍ يحقق هذا الغرض فهو خير، وكلُ حبٍ يحجب عن الغرض فهو شر على صاحبه.

٤/. الحب المطلق:

من جمال خلق الله تعالى وحكمته في خلقه أنه أوجد الحب بين البشر بهدف تيسير حياتهم المؤقتة على الأرض وإعطائها الدفء الروحي العاطفي الذي يدفعهم للتعاون ويعينهم على تحمل المسؤوليات بصبر ورضا، ولذلك نرى الحب يربط الأم بصغيرها ويعينها على تحمل مشقة العناية به، ونرى حب الأب لأسرته يصبره على مسؤولياته، ونرى الحب بين الزوجين ليعينا بعضهما في الحياة، وكذلك المحبة بين الأصدقاء والأقرباء والجيران وجدت كحافز يحفّز الناس على التعاون والتعايش. غير أنه هناك نوع من الحب لا يليق به إلا أن يُسمّى بالحب المطلق، الحب الأكبر، أي الحب بين الرب والعبد.

الحب من الرب للعبد هو الأسبق، أي أن الله تعالى بدأ بحب ابن آدم، ثم يزيد حبه له عندما يخضع العبد للرب ويقرّ له بالربوبية، وتتحقق عبوديته لربه بطاعته له على مدى حياته الدنيا. فخضوع العبد لله تعالى دليل على حبه له. أما عندما يذكر حب العبد للرب قد يخطر في بالنا بعض العاشقين لربهم: رابعة العدوية والفضيل بن عياض وبشر الحافي ومعروف الكرخي والقشيري وابن عطاء الله السكندري وابن عربي وغيرهم، حيث يخبرنا هؤلاء الأفاضل وغيرهم عن علامات حب العبد لله عز وجل كما يلي:

١. الاشتياق: الشوق للقاء الله تعالى والمثول بين يديه في الصلاة والدعاء منفرداً وفي المسجد وفي كل مكان.
٢. عدم المعصية: من يحب، يُطع ولا يُغضب، تحويل الهدف إلى حب الله يجعلك تخشى من كل ما يخدش هذا الهدف.
٣. الإكثار من ذكره: من يحب، يُكثر من ذكر محبوبه، فالعبادة المطلوب الإكثار منها هي الذكر.
٤. متعة المجالسة: الاستمتاع بمجالسة المحبوب كالصلاة والذكر، لا أن نأتيها قسراً. المتعة في العبادة مستوى عالٍ يعني أنك تستمتع بمجالسة الله تعالى وتغسل قلبك وتختم الصلاة بنفسية أفضل مما بدأتها: "أرحنا بها يا بلال".
٥. أن يذكرك كل شيء بالمحبوب: أن ترى آثار يديه وصنائعه في خلقه، وهذا تفكر في خلقه وربط كل شيء به عز وجل.

إن استخدمنا معيار هذه العلامات ورغبنا في مستوى أعلى نطمح إليه ، فإن الأمر يأتي بالإجراءات العملية التالية:

١). التخلية (التنقية): وهي مرحلة إزالة الحب الأدنى والتخلص من آثاره على القلب. والحب الأدنى هو الحب للأشخاص والأشياء التي لا يرضى عنها الله تعالى،

والذي يوصل إلى ذنوب ومعاصٍ لها غشاوة تغطي القلب. ولذلك لابد من تنقية القلب من هذا الحب كما تنقى التربة من الحشرات والحشائش الضارة حتى تصلح أرض القلب ليُزرع فيه الإيمان والأخلاق. ومن أنواع الحب الأدنى ما يلي:

حب الأشياء (التي لا تُرضي الله تعالى)	حب الأشخاص (مما لا يُرضي الله تعالى)
١- ممتلكات: ملابس غير شرعية، صور سيئة... إلخ	١- علاقات مع الجنس الآخر: خارج إطار الزواج
٢- نشاطات وعادات سيئة: تسالي محرمة، نميمة، سرعة الغضب، إضاعة وقت، طعام زائد، كلام زائد، نوم زائد.	٢- علاقات مع نفس الجنس: أصدقاء السوء والعصاة لله.

وإذا كان اسم هذه الأنواع من الحب التي لا يرضى عنها الله تعالى "الحب الأدنى"، فالعكس منها هو حب الله تعالى والذي يسمى "الحب الأسمى". ومهمة التخلية في تنظيف القلب هي في تغليب الحب الأسمى على الحب الأدنى. وكما أن الأمور العقلانية المنطقية لا يمكن علاجها إلا بما هو عقلاني من جنسها، أي بأساليب الإقناع والمنطقي، وكذلك فإن الحب، وهو أمر قلبي، لايمكن تعديله بطرق عقلانية بل لابد من أن تكون طريقة التخلص من الحب الأدنى هي طريقة قلبية عاطفية.

يتحدث العلماء في هذا الصدد عن فعلين هامين يمكن من خلالهما تغليب الحب الأسمى على الحب الأدنى: وهما:

١- ربط النعم بالمنعم: وهو أن أتفكّر وأتأمل النعم الهائلة من حولي، والتي خلقها الله تعالى بقدرته وكثّرها بكرمه العظيم ورتّبها بنظامه الدقيق وسخّرها

لخدمتي، أنا الإنسان الضعيف، لكي تكون مصدر عون لي في حياتي ومؤشراً واضحاً يدلني على الخالق. فإذا داوم الإنسان على هذا التفكر صار له عادة، فكلما شاهد مخلوقاً أو حضر مشهداً أو سمع بتصريف من تصاريف الله في كونه وتدابيره في خلقه، فإنه لا يملك إزاء هذه القدرة والكرم والرحمة إلا أن يخشع ويسجد قلبه لله ويحبه حباً يولّد في القلب استحياءً من الله تعالى وتعظيماً لقدره وخشية يرتعد فيها أمام قوته عز وجل، فتصغر في عين الإنسان تلك الأنواع من الحب الأدنى ويزهد فيها إذ يقارنها بالجمال الإلهي والعظمة الإلهية، وتسخف في نظره ويعجب من نفسه كيف تميل إليها في حضرة رب الكون وفي وجوده وتحت نظره، فينصرف عن محبتها وتزول من نفسه الرغبة فيها، ويعي إغراء الشيطان وخداعه له بالهوى والنفس الأمارة بالسوء، بل وتتبدل تلك الرغبة فتتحول إلى رغبة بالحب الأسمى وكره لكل ما يبعده عنه.

٢- كثرة الذكر: وهو الإكثار من الذكر الأوليّ للمحبوب تعالى باسمه الذي لا يسمى به غيره: لفظ الجلالة، دون إضافات أخرى. ذكر لكلمة الله وحدها تعبداً ورقاً، ذكر خالص لكلمة الله حتى ينبض القلب باسم الله ويمتلأ بنوره. هذا ذكر قلبي فردي يشترط فيه السكون والاستغراق حتى يصل بالتكرار والكثرة إلى طرد الحب الأدنى من القلب مع آثاره وأقذاره، فهو نور لا يقبل في حضرته أوساخ الدنيا فيزيلها رويداً رويداً، وتصغر في عينه مصاعب الدنيا ومشاكلها كلها فيطهر القلب ويرتفع مستوى وعيه بعظمة المذكور وضآلة كل شيء سواه، ويستمد من ذلك القوة والقدرة على دفع كل حب أدنى خارج أسوار القلب وحمايته منه. وهذا لا ينفي أنواع الذكر الأخرى من تسبيح وتحميد وتهليل واستغفار مما ذكره رسول الله، بل لابد من النوعين.

٢). التحلية: وهي مرحلة إعادة ملء الفراغ في القلب والناتج عن التنقية السابقة، وذلك بمتعة العلم والتفكّر فيه: علوم القرآن الكريم والأسماء الحسنى والسنة

المطهرة والسيرة النبوية والحديث وقصص الأنبياء وتأمل مخلوقات الله والتعرّف على أعاجيبها في الطبيعة وفي الأحياء والكيمياء والفيزياء والرياضيات والفضاء والكون، كلها علوم جميلة ممتعة تملأ القلب والعقل، بالإضافة للتدرّج بالأعمال الصالحة.

من العلماء من يقول أن التحلية لها خطوات تتمثل بالمشارطة ثم العمل تدريجياً والمراقبة. والمشارطة حوار داخلي بين الإنسان ونفسه ومعاهدًا ربه سبحانه وتعالى على أداء عبادات وأخلاقيات ومشارطاً نفسه للتدرج والاستمرار في ترويض النفس الأمارة بالسوء ويراقب سلوك نفسه لدى التدرج في ترويضها وترغيبها بالطاعة، مثلاً، كأن يعاهد نفسه على أداء الصلوات الخمس في أوقاتها وقراءة تفسير القرآن الكريم (وهي فروض)، فإذا واظب على الفرائض والذكر ينتقل إلى النوافل وإلى تذوق حلاوة الصلاة بالليل مرة في الأسبوع، ويستمر في التدرج في سائر العبادات والسلوكيات، مثل بر الوالدين وصلة الرحم وإكرام الأهل وغيرها من كريم الأخلاق، مع الاستمرار بقراءة الكتب التي يميل إليها في أي علم طيب والاستزادة في توسيع الآفاق.

٣). التجلية: وهو الإجلاء من كل ما عدا الله تعالى وحبه وحده دون أيٍ كان، أي حب الخالق وحده دون المخلوق والتخلّق بأخلاقه المستمدة من أسمائه الحسنى، كالرحمة والكرم والسلام والغفران للناس والشكر لهم والعدل، وهو الحب الذي يكون من أمر الأنبياء وأكابر المقربين من الله تعالى والأولياء.

وهناك من يميل إلى ادعاء هذا النوع من الحب فيتحدثون عن "العشق الإلهي" على أنهم من أصحابه، وربما يكون لبعضهم من الذنوب والمعاصي ما لا يرتكبه المبتدئون. والحق أن أصحاب العشق الإلهي الحقيقي يُعرف عنهم حبهم لله دون

أن يتحدثوا به (عدا الأنبياء الذين يحدثوننا عنه لنتعلم والله تعالى حمى قلوبهم من الشيطان)، والأولياء الحقيقيون هم الذين يحتفظون بحب الإله في قلوبهم دون التغني بمشاعرهم الخاصة تلك في المجالس، فهم يعرفون أن إعلانهم عن هذا الحب سيفقدهم إياه، لأن النفس والشيطان سيدخلا وبقوة من باب العجب بالذات ويفسدا الأمر برمّته.

٤). إعادة التحلية من الله تعالى: وهو الحب الذي وضعه الله تعالى في أنبيائه وعباده فيحبب إليهم ما يريد، كما قال رسول الله ﷺ: "حُبّبَ إليّ من دنياكم الطيب والنساء، وجُعلت قرة عيني في الصلاة".

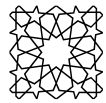

الفصل الخامس

مرحلة ما قبل الزواج

١/ . اتخاذ الأسباب قبل الزواج:

الزواج من سنن النبي ﷺ حيث قال: "خذوا عني، النكاح من سنتي؛ فمن لم يعمل بسنتي فليس مني" (رواه ابن ماجه). ويعتقد الكثير من الناس أن اتخاذ الأسباب قبل الزواج هو في التخطيط المادي لشراء أو استئجار منزل ثم شراء الاحتياجات المنزلية، بالإضافة للتحضير للاحتفال بالعرس وما إلى ذلك من أمور. وعلى الرغم من أهمية التخطيط المادي، إلا أنهم يغفلون عن التخطيط الأهم وهو اتخاذ الأسباب الفكرية والنفسية للعروسين، والتي تتلخص في نقطتين هامتين:

١). التهيئة الفكرية للزواج:

وهي تعني حصول المقبلين على الزواج على المعلومات الضرورية للتمكن من القيام بمسؤوليات الزواج بشكل سليم. قبل البدء بأي مشروع، على المرء أن يتعرّف على جوانبه المختلفة وخاصة المسؤوليات التي سيطلب منه توليها والمتوقع منه أن يتحمّلها. ولذلك قامت دولٌ بتنظيم دورات تهيئة للزواج تجبر المقبلين عليه على إتمامها بسبب ملاحظتها أن نسبة كبيرة من المتزوجين ينفصلون بسبب الفجوة الكبيرة بين توقعاتهم من الزواج والواقع الذي يُفاجأون به بعد الزواج.

مثلاً، لاحظ رئيس الوزراء الماليزي السابق مهاتير محمد عام ١٩٩٢ أن نسبة الطلاق في ماليزيا بين المتزوجين وصلت إلى ٣٢٪، مما يعني أن ثلاثة زيجات من أصل عشرة كانت تفشل بشكل سريع في السنة الأولى من الزواج، وهذا ما كان من العوامل المؤثرة سلبياً على مسيرة التطور الاقتصادي والاجتماعي التي كان يخطط

لها لبلاده. فجاء بفكرة "رخصة الزواج" التي لا تُعطى إلا بعد أن يأخذ المقبلون على الزواج شهر إجازة من أشغالهم ليحضروا دورة تدريبية مكثفة عن الزواج وكيفية التعامل مع الشريك وكيفية التصرف في مواجهة المشاكل المنزلية بشكل فعال. وكان نتيجة ذلك انخفاض ملحوظ في نسبة الطلاق إلى ٧٪ عام ٢٠٠٢.

ماذا تتضمن التهيئة الفكرية وما هي المعلومات الضرورية المطلوبة؟ إنها تتضمن التوعية العملية للشباب المقبلين على الزواج وإعدادهم لإنشاء الأسرة، ويشتد الأمر لزاماً عندما يكون الفرد قد أنشأ الأسرة وهو بحاجة ماسة لتعديل ما ثبت خطؤه من سلوكيات وأساليب تربوية غير فعالة مع الجيل الجديد، ومن هذه المجالات:

*** المجال الصحي:**

أي يجب أن يحصل العروسان على معلومات كافية حول نواحي الصحة الجنسية والإنجابية وما تتضمنه من حقوق وواجبات تجاه بعضهما البعض، بالإضافة للممارسات المحللة والمحرمة، وهذا ما يمكن تحصيله من خلال كتب علمية موثوقة وكتب شرعية تتحدث عن الزواج وآدابه كتحفة العروس وغيره، بالإضافة إلى كتب علمية تتحدث عن الحمل والإرضاع والعناية بالجنين والرضيع. والجهل بهذه الأمور يوصل أحياناً إلى قلق وربما مشاكل وتعاسة زوجية، في حين أن المعرفة يمكن أن تحل مشكلات كثيرة.

*** المجال القانوني:**

وهو ما يتعلق بقوانين الزواج والطلاق وحقوق الزوجين وحقوق الأطفال، وهذا ما يمكن تحصيله بقراءة كتب حول فقه الزواج والطلاق والأحوال الشخصية في سورية وحقوق الطفل في الإسلام وغيرها، بهدف أن يكون المرء عارف بالأساسيات على الأقل، ومن المتوقع أن تكون متعة هذه العلوم دافع قوي ليقرأ المرء حتى التفاصيل، والتي تفتح مداركه وتوسع آفاقه وتعينه عندما يحتاجها فجأة فتظهر في ذهنه.

*** المجال الاجتماعي:**

وهو المتعلق بالأعراف والتوقعات الأسرية أي ما تتوقعه الأسرتان من الزوجين، ويحصل العروسان على هذه المعلومات من الأسرة تلقائياً، ولكن لابد من اتخاذ القرار حول ما يقره الشرع وما لا يقرّه، وكذلك حساب الأولويات والنتائج، بمعنى أن على المرء أن يفكر ماهي النتائج المتوقعة من اتباع هذا العرف أو ذاك، وهل هناك مكاسب شرعية أو اجتماعية أو خسائر، ومن ثم اتخاذ القرار بالتطبيق أو عدمه.

فمن الأعراف والتقاليد ما لا يعارض الشرع ويعود بالفائدة على الأفراد، ومنها ما لا يعود بفائدة تذكر فعلى المرء أن ينظر للمكاسب والخسائر. وهنا نجد أكثر الناس نجاحاً هم الذين يستخدمون الروية والحكمة والذكاء في إيجاد الطريقة المناسبة للتصرف السليم، فمن السهل أن يصرخ المرء بكلمة لا، لكن خسائره تكون كبيرة قد تصل لعقوق الوالدين. في حين أن الذكي هو من يجد الطريقة المسالمة الحاسمة والكيفية التي تؤدي الغرض دون أن تثير غضب الوالدين أو تُفقد الزواج رضا الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾.

*** المجال التواصلي:**

وهو ما يتعلق بالتعرّف على طبائع الناس ونفسياتهم وأفضل طرق التواصل والتعامل معهم للحصول على حياة مستقرة، من خلال قراءة الكتب المتعلقة بالعلاقات الناجحة (ومنها علاقة النبي ﷺ بزوجاته وأطفاله وأصحابه) وحضور المحاضرات التي تفيد في هذا المجال، والاستماع للأخصائيين الاجتماعيين الذين يتحدثون عن طرق التواصل وبناء جسور العلاقات التي تزيد التفاهم وتُجنّب الزوجين صعوبات كثيرة.

*** المجال التربوي:**

وهو المتعلق بأساسيات تربية الأبناء وأساليب العناية بهم منذ ولادتهم أطفالاً مروراً بمراهقتهم وحتى يصبحوا يافعين. وتتوفر على شبكة الإنترنيت كثير من الكتب والدراسات والمحاضرات المتعلقة بهذا الشأن.

*** المهارات المنزلية:**

وهي مهارات إدارة شؤون المنزل الداخلية مثل تنظيم ميزانية المنزل واستخدام الأجهزة المنزلية والطبخ واستخدام مواد التنظيف ليبقى المنزل بيئة صحية جيدة، بالإضافة إلى المخاطر الموجودة في المنزل ومبادئ الإسعافات الأولية التي قد تنقذ فيها الأم أو الأب حياة طفلهم في لحظة حرجة. ويتم تحصيل هذه المبادئ من خبرات الأهل وبعض المختصين.

٢). اختيار الشخص المناسب:

بناءً على حسن الاختيار إما أن يعيش المرء الجزء الأعظم من حياته مستقراً أو يعيش مع صعوبات شديدة. والواقع أن أولويات الإنسان تحدد مدى نضجه ووضوح هدف حياته في ذهنه، ثم تأتي النتائج للإنسان وفق اختياراته من جانبين:

١/ . الجانب البشري: إخلاص نية الزواج وطريقة التنفيذ (اتخاذ الأسباب):

لكي ينجح الاختيار، فإن الله تعالى قد دلّنا من خلال الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة ٨٢). إذاً المطلوب هو الإيمان (النية الخالصة) ثم العمل الصالح (طريقة التنفيذ) كما يلي:

١). إخلاص النية:

ويكون بالرغبة الصادقة بطاعة الله في إنشاء الأسرة لإرضاء الله تعالى وتحصين الذات بالحلال وحده، بالارتباط بشريك حياة يعين على طاعة الله

ويضفي على الحياة مؤانسة طيبة وسعادة واستقراراً نفسياً. وهي الخطوة الأولى التي إن لم تؤدى يصبح التوكل تواكلاً، إذاً: "اعقلها وتوكّل". وتبدأ بالنية السليمة. وبما أن الهدف من الزواج هو أن يحقق للإنسان احتياجاته المتعددة: روحياً وعاطفياً وفكرياً وجسدياً واجتماعياً، فيجب ألا يكون الاختيار مبني على تلبية جانب واحد أو اثنين فقط، وإلا فإنه يبقى في عوز في الجوانب التي أغفلها، فلا تنجح العلاقة ولا تؤدي الغرض منها في السكينة والاستقرار. فإن كانت أولويات الزواج هي جانب الشكل أو العاطفة أو المادة، بقيت على هذا الحال، والسبب هو أن الله تعالى عادل يعطينا على قدر نياتنا، "إنما الأعمال بالنيّات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه" (رواه البخاري ومسلم في صحيحهما). وكذلك من كانت نبيته وأولويته في زواجه هي ما يرضاه الله فإنه يبحث عن المرأة الطائعة لله ذات العقل (لتربي أطفاله)، فيعطيه الله وفق هذه النية، ويبارك لهما ويجمع بينهما بالمودة والرحمة ويقذف بالحب في قلبيهما فتراه أفضل الرجال ويراها أفضل النساء. ومن كانت نيته وأولويته في زواجه جمال المنظر أو المال فإن الله تعالى يعطيه ما أراد، ولكن ليس بالضرورة ان يحصل على الصفات الأخرى. وهذا ما تحدث عنه النبي ﷺ في حديث "اظفر بذات الدين"، وهو يعني ان تكون أولوية الزواج هي الدين وليس المظهر الخارجي او المال، والتي لا ضير أن تكون في الأهمية الثالثة أو الرابعة، بعد الدين والعقل. أما الأولوية الأولى في الاختيار فتكون لذي الدين وذات الدين. فكم من شاب غني جميل المنظر وسليل عائلة عريقة أتعس زوجته بسوء أخلاقه وطباعه وضعف دينه، وكم من فتاة جميلة هيفاء شقراء زرقاء العينين (المواصفات الذهبية عند البعض) أرهقت زوجها بقلة عقلها وسوء تربيتها لصغارها. والسبب هو أن الله عادل يعطي وفق النوايا، يبارك لمن يسعون لرضاه بصدق وليس لمن يتبع هواه.

سؤال: كيف نعرف من هو ذو الدين ومن هي ذات الدين حقيقة؟

جواب: أولاً: يجب أن نتصف نحن بالعلاقة القوية بالله فنميّزها عند غيرنا.

ثانياً: أن ندعو الله بصدق وإلحاح أن يرينا الحق حقاً ويكشف الزيف.

ثالثاً: ألا نفهم الحب والزواج بالصورة الإعلامية المزيفة، بل كمكافأة للملتزمين بطاعة الله.

رابعاً: أن نؤدي واجبنا في التحري والتقصي وإعمال العقل عند الاختيار.

خامساً: ألا نسمح للعواطف أو لرغبات الجسد أن تسحبنا عكس ما يقوله العقل.

٢). طريقة التنفيذ:

لكي يكون الزواج مباركاً مقبولاً عند الله يجب أن يتم بالطريقة النبوية المقبولة عند الله . لماذا؟ الطريقة النبوية هي ممن لا ينطق عن الهوى "إن هو إلا وحي يوحى". سلوك النبي ﷺ في كل شيء هو ما يحقق مصلحة الإنسان على المدى القريب والبعيد معاً، كونها أوحيت من قِبل الخالق العارف بما يناسب الإنسان. والطريقة النبوية هي باتباع الأسس التي قام بها النبي ﷺ والامتناع عما نهى عنه، حتى لو كلفه ذلك عدم استحسان الناس الذين لم يألفوا طريقة رسول الله ﷺ.

بالرغم من أن مجتمعنا إسلامي في ظاهره، إلا أن بعض ممارساتنا غير إسلامية، ومنها الاختيار والتحضير للزواج، وهذا الخلل تظهر نتائجه في مشاكل نجد أنفسنا فيها لاحقاً، ولو كانت طريقتنا إسلامية حقاً لتضاءل حجم المشكلات كثيراً. لذلك نؤكد على أن معارضة المجتمع للفرد واستهجانهم من الأمور التي

قد تواجه من يطمح إلى الالتزام بالسنة في تفاصيل زواجه، وذلك بسبب الجهل، فالناس أعداء ما جهلوا وما لم يألفوا، وقد يوصل ذلك إلى عقوق وخصومة. لذلك يُنصح أن يحاول المرء التصرف بذكاء لإيجاد البدائل الجيدة وأن يكون حكيماً في الإصرار على ما لا يمكن التخلي عنه، والمرونة والمسايرة فيما لا يحرّمه الله من تقاليد. وقد لا يتمكّن المرء تحت الضغوط من أن يجعل كافة التفاصيل مرضية، وقد يضطر للقبول بنسبة أقل مما يطمح إليه من تعديل في الإجراءات نحو الطريقة النبوية، غير أن التغييرات المجتمعية لا تُنجز في جيل واحد، وربما تحتاج لعدة أجيال لتصحيح ما فسد، فلنكن من الجيل الذي له سهم في تعديل الإجراءات نحو ما يرضى الله، فيكون لنا أجر الثبات على السنة في زمن صعب. يقول ﷺ: " يأتي زمان على أمتي القابض على دينه كالقابض على جمرة من النار" (رواه الترمذي).

٢/ . الجانب الإلهي: استجابة الله تعالى:

عندما يقوم الإنسان باستخارة الله تعالى فإنه يوجّهه نحو الخير ويصرف عنه ما ليس فيه الخير. حيث أن بذل الإنسان للجهود لا يعني ضمان المستقبل بنسبة ١٠٠٪، فلا غنى للإنسان عن استخارة الله تعالى قبل الزواج، وأن يكون اتكاله صادقاً واثقاً أن الله تعالى لن يختار له إلا ما يصلح به حاله، حتى إن بدا فيه ما لا يعجبه.

إن استجابة الله تعالى لطلب الإنسان في اختيار الخير قطعية، فلا يمكن للمرء أن يؤدي واجبه في العمل والاستخارة ثم يتركه الله، حاشاه تعالى، هذا ليس من صفاته، بل هو يختار الأفضل ويمنع عنا الضرر والشر. ويمكن لهذا الأفضل أن يكون واضحاً أنه خير، ويمكن أن يكون ضمنياً أي ظاهره شر لكن باطنه خير. وهنا تأتي ثقتنا بالله وباختياراته لنا.

إن صعوبات الدرب ليست لأن الله تعالى نسي دعاءنا أو لأنه يعاقبنا، بل إن الله تعالى يقصد تقويم اعوجاجنا وتعليمنا ما ينقصنا من فهم وخبرة ومهارات

حياتية وتربية. ومثال ذلك هو عندما نبذل بحق كل استطاعتنا في الجانب البشري ونرى الأمور تتيسر نحو القبول، ثم تتبين لنا بعد الزواج صعوبات لم تخطر على بال. هنا على المرء أن يعرف انه طالما قد أدى واجبه بأقصى ما يستطيع ثم اتكل على الله، فكل ما يحصل معه لاحقاً إنما هو خير له، يهدف لتعليمه صبر يرفع مكانته عند الله تعالى إلى مرتبة لا ينالها إلا بهذا الامتحان، ولرفع قدراته النفسية والفكرية في معالجة المشاكل وإيجاد الحلول، وهذا متضمن في معنى الحديث الشريف: "عَجَباً لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ وليسَ ذلكَ لأحَدٍ إلا للمُؤْمنِ، إنْ أصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانتْ خَيراً لهُ، وإنْ أصَابتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فكانتْ خَيرًا لهُ" (رواهُ مُسْلِم).

٢/ . ترتيب مراحل الخطبة والزواج على الطريقة النبوية:

بمقدار ما يكون الزوجين ملتزمين بطاعة الله والطريقة المشروحة عملياً في السيرة النبوية وقصص الصحابة وتابعيهم، بمقدار ما يجعل الله تعالى المودة والرحمة بين الزوجين ويطرح البركة فيهما وفي منزلهما وذريتهما.

في السيرة النبوية، نرى ترتيب مراحل الزواج في الإسلام كما يلي:

أولاً: الاستخارة من قبل الخاطب، ثم إبلاغ أهل المخطوبة بنيّة الخطبة.

ثانياً: تعرّف الذكور في أسرة المخطوبة على الخاطب وشخصيته ووضعه وملاءمة ظروفه وتوافق الأسرتين.

ثالثاً: الاستخارة من قبل أهل المخطوبة ثم سعيهم للتثبت من الخاطب ووضعه وشهادة الناس من حوله به.

رابعاً: الرؤية الشرعية: التأكد من وجود القبول النفسي الشخصي بين العروسين.

خامساً: استخدام الوسيط ليتأكد الخاطب والمخطوبة من تقارب الفكر والدين والخلق بينهما .

سادساً: عقد القران (كتب الكتاب).

سابعاً: فترة قصيرة للتحضير ثم إتمام الزواج بالاحتفال والإشهار والمأدبة.

لنشرح هذه المراحل أكثر:

➢ **أولاً: الاستخارة من قبل الخاطب، ثم إبلاغ أهل المخطوبة بنيّة الخطبة:**

الاستخارة هي إحدى النعم التي أنعم الله تعالى بها على المسلم، كونه غير قادر على التنبؤ بما في القدر في المستقبل، وكونه لا يعرف أين يكمن الخير الحقيقي له، خاصة أننا قد نظن أن ما نراه هو الخير، لكنه يخبئ في جنباته شر عظيم، وقد نكره أمراً ثم يتبيّن لنا مع الأيام أنه أفضل ما قد حصل لنا في حياتنا وأنه سبب سعادتنا الأبدية. ولذلك نلجأ لاستخارة الله تعالى، والتي تعطينا الجواب الذي نطمح إليه، وليس ذلك سوى للمؤمن، فنتحرى ساعات الاستجابة ونتجهز للوقوف بين يدي الله ونتوجّه إليه بدعاء الاستخارة كما علمنا رسول الله ﷺ، ثم ندعو بما نشاء فنقول لله تعالى بما معناه:

- أنا ضعيف غير قادر على معرفة المستقبل وأين يكمن الخير.
- أنا أثق بك يا رب وبعلمك المطلق ومعرفتك بما يناسبني في ديني ومعاشي وعاقبة أمري.
- أنا أعلن عن قبولي لاختياراتك لي فأعنّي على الرضا عنها وارضَ عني.

لابد أن يقوم الخاطب وأهله بسؤال من يعرف المخطوبة وأهلها والأصدقاء والمعارف والجيران. وهي ضرورة للتأكد من سيرتها بشكل عام وطريقة حياتها وحسن سمعتها بين الناس. فإن وصل إلى علم الخاطب ما لا يناسبه، تمهّل حتى يتأكد. فإن توصل إلى نتيجة مرضية، يأتي بعد ذلك إبلاغ الخاطب لأهل المخطوبة بنيّة الخطبة، وهذا ما يحفظ للمرأة كرامتها وتقديرها، ويصرف عنها كل من هو غير جاد في مسألة الزواج. وهذا ما على المرأة أن تستخدمه لتميّز بين الرجل الجديّ الملتزم الذي يريد علاقة زواج نظيفة، والرجل الذي يريد أن يلهو. فالملتزم يتجه إلى إبلاغ أهل المخطوبة، ولا يحاول التقرّب من الفتاة بحجة التعارّف.

التعارف هو أمر لم يحن وقته في هذه المرحلة بعد، ولا يجوز للمرأة او الرجل أن يتحادثا بعد، وهذا لمصلحة كلٍ منهما. فكم من حالة تساهلت فيها المرأة مع طلب التعارف ظناً منها أنه مشروع زواج، فأعطت ثقتها لرجل غريب عنها ثم تفاجأت بأنها كانت ألعوبة للتسلية ثم تراجع عنها عندما وجدها سهلة المنال، فتبقى كسيرة القلب نادمة على تساهلها. بل وقد يحدث العكس مع الرجل أيضاً، ففي زماننا لم تعد التسلية بالعلاقات حكراً على الرجال، فالمرأة أيضاً قد تتلاعب بمن تجده طاهراً خجلاً عديم الخبرة، ثم تتركه إلى غيره بعد أن ينكسر قلبه. وهناك أيضاً من القصص التي يجب أن نعتبر منها أن تتعقد ظروف الزواج لأي سبب كوجود تأشيرة سفر أو غير ذلك، ولكن بعد أن تكون المحادثات بين الخطيبين قد وصلت بهما إلى مرحلة التعلق، فيضطرا للانفصال وينكسر القلبان حزناً. لذلك ليس التعارف في مصلحة أحد في هذه المرحلة.

➢ ثانياً: تعرّف الذكور في أسرة المخطوبة على الخاطب وشخصيته ووضعه وملاءمة ظروفه وتوافق الأسرتين:

يقوم بهذا التعرّف الذكور في أسرة الفتاة المخطوبة قبل لقاءها به، لأن الرجال يفهمون تفكير الرجال، كما ان النساء يفهمن تفكير النساء، وبالتالي يتمكن الرجال من رأي مبدأي حول الخاطب من حيث ما يبدو عليه من دين وخلق ومن حيث ظروف حياته بما يتناسب مع المخطوبة.

من الممارسات الخاطئة أن يدفع الأهل بالمخطوبة أمام الخاطب سريعاً ويتملّص الأب من مسؤوليته بقوله: "تحدثي مع الخاطب واكتشفيه، فأنت من ستتزوج ولست أنا"، وهذا طبعاً خطأ وليس من الدين في شيء، فالأب وذكور الأسرة أقدر على اكتشاف نوعية وصدق الخاطب كونهم مثله ذكور، في حين أن الفتاة، خاصة المسلمة الحيية التي ليست لديها خبرة بالرجال، غالباً ما تكون غير

قادرة على تمييز صدق الخاطب من كذبه. ولذلك لابد من تعرّف رب الأسرة على الخاطب واستشارة والدة المخطوبة، نظراً لكونها أدرى وأقرب إلى مشاعر ابنتها (شرط أن تكون الأم واعية)، وذلك ما كان يفعله السلف الصالح، حتى أنهم كانوا يختارون لبناتهم الأزواج الصالحين، وينظرون إلى الخاطب لأبداء الرأي المبدأي، فإن رضوا عن دينه وطبعه وظروفه، استشاروا الأم، ثم ينتقلوا إلى المرحلة التالية. وإن رأوا عدم ملاءمته في دين أو خلق أو ظروف، صرفوه عنها ولم يضعوها في موقف التعرّف عليه فيميل إليه قلبها، أو يميل إليها قلبه، ثم يتوجب عليهما الفراق لعدم التلاؤم ويدخل أحدهما أو كلاهما متاهة الجهاد لإخراج هذا الميل من القلب الكسير.

ومن الأمور التي على الأهل ملاحظتها في الخاطب مدى توافق الأسرتين والتكافؤ بين العروسين، وذلك كما يلي:

١). التكافؤ الديني:

وهو الذي حث عليه ﷺ وقدّمه على باقي الاعتبارات الأخرى في الحديث الشريف المشهور: "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك" (متفق عليه). قال الإمام المناوي في فيض القدير: فاظفر بذات الدين أي اخترها وقربها من بين سائر النساء ولا تنظر إلى غير ذلك، فإن لم تفعل "تربت يداك" أي افتقرتا أو التصقتا بالتراب من شدة الفقر. ولذلك نرى من الفقهاء من يرى في مذهبه أن الكفاءة تكون في الدين، فلا تزوج مسلمة بكافر ولا عفيفة بفاجر، ومنهم من يرى الكفاءة في الدين وفي غيره كالنسب والصنعة ونحوها. وهدف الكفاءة في الدين أن يختار المرء نسباً تقياً، فأصحاب التقى أفضل من غيرهم، لكونهم إن أحبوا شريك الحياة أكرموه وإن أبغضوه يمنعهم دينهم عن ظلمه، وليس هذا الخلق إلا لصاحب الدين، فمن لا دين له قلما وجد له رادع يمنعه عن الظلم إذا أبغض. وقد أحسن من قال:

وكـلُ كسـرٍ فـإن الـدينَ يجبُـرُه ☐ ومـا لكسـرِ قنـاةِ الـدينِ جبـرانُ

٢). التكافؤ الاجتماعي والثقافي:

أي أن تتشابه الأسرتان أو على الأقل أن يتشابه العروسان، في المستوى الثقافي والاجتماعي الأسري، مما يمكّنهما من التعايش، ويجعل بين الزوجين جو من التفاهم وتشارك الرأي وتيسّر قيام كل منهما بواجبه اتجاه الآخر، الأمر الذي يدعو إلى تقوية الرابطة الزوجية واستمرارية العلاقة، وهذا أمر مهم يحث عليه الشارع، غير أن الكفاءة في غير الدين ليست شرطا في صحة النكاح.

٣). التوافق المادي:

ويعني قبول العيش ضمن الظروف المادية للزوج، فهو المكلف بإعالة الأسرة بعد الزواج، ولذلك فإن القبول بوضعه كما هو مطلوب، دون تكليفه ما لا يطيق. لا شك أن تأمين المسكن الشرعي من حق الزوجة، غير أن من الناس من يكلف الخاطب ما لا يطيق في المسكن الشرعي وغيره من مهر مرتفع ومجوهرات وعقارات وصرف على احتفالات عظيمة مكلفة وغيرها، وهذه تكون إما للظهور أمام الناس بالمظاهر الكاذبة أو لمحاولة ضمان تعويض مادي للعروس في حال عدم التوافق مستقبلاً، وهو خطأ شائع، لأنه يعطي الخاطب انطباعاً بعدم الثقة فيه، كما أنه ومن خلال التجارب نرى انه في حقيقة الأمر لا يحقق أي ضمان أو تعويض للعروس في حال الفراق، بل يكون أحياناً سبب الفراق أو سبب المكارهة لكي تتنازل المرأة عن حقوقها لتتخلص من مكايدة زوج فاسق أو استخدامه للأطفال كوسيلة للضغط على المرأة.

لذلك، ينبغي أن نعلم أن المهر المرتفع، خاصة مؤخر الصداق، ليس ضماناً للمرأة ولاستمرار الحياة الزوجية، فالأصل في الزواج هو الاستقرار وليس الاستمرار تحت كل الظروف ومهما كانت سيئة.

➢ ثالثاً: الاستخارة من قبل أهل المخطوبة ثم سعيهم للتثبت من الخاطب وشهادة الناس به:

يجب أن تكون الاستخارة دائمة الحضور في حياتنا، خاصة في لحظات اتخاذ القرارات الحاسمة. وفي هذه المرحلة على أهل المخطوبة التثبت من كلام الخاطب وأهله وملائمة وضعه من خلال سؤال الناس والمحيطين به، ليس من كلامه وحده، وذلك لأن الناس انتشروا وليس من الحكمة أن يثق المرء بشهادة الخاطب عن نفسه فقط، وهذه أيضاً مهمة أهل المخطوبة في التقصّي والتحقق والتحرّي عن خاطب فتاتهم، ويسألوا عنه من يعاشره ويعرفه، لماذا كل ذلك؟

ذلك لأن فتاتهم أمانة في أعناقهم ويتوجب عليهم ألا يسلموا أمانة إعالتها والقوامة عليها إلا لمن هو أهل لذلك. كما أننا قد أضحينا في زمان يجد فيه الناس الأعذار لأنفسهم ليظهروا بأفضل مظهر بل ويكذبوا في كل شأن إلى أن يحصلوا على القبول، ثم يتبيّن أن كلامهم كذب وهم يتوقعون ألا تصل الحقيقة إلى الفتاة وأهلها إلا بعد فوات الأوان، بعد أن يكون الزواج قد تم لتفاجأ الزوجة بعكس ما قد قيل لها. لذا، على أهل الفتاة أن يفعلوا أقصى ما بوسعهم للتثبت، خاصة في حالات الزواج إلى بلد آخر، مع سؤال الله ان يُظهر لهم الحقائق ويُبدي لهم معايب الخاطب إن وجدت. وكم من حياة تعيسة عاشتها فتيات بسبب تقصير أهلهن في التثبت من الخاطب الذي يتبيّن بعد الزواج أنه غير كفء، ولو أنهم التجأوا إلى الله تعالى بصدق وأدّوا واجب التثبت بشكل جيد دون السماح للهوى بالتحكم بقرارهم، وجمعوا الأخبار فقاطعوها مع بعضها لتبيّن لهم ما غاب عنهم وحُجب، قبل اتخاذ القرار.

➢ رابعاً: الاستخارة من قبل المخطوبة ثم الرؤية الشرعية:

إن وصل الأمر إلى القبول، فعلى المرأة أن تستخير الله تعالى ليتم تيسير الأمر نحو ما فيه الخير خلال الرؤية الشرعية، والتي هي مقابلة تهدف للتأكد من وجود

القبول النفسي الشخصي بين العروسين، وهو الذي يلخّصه الحديث الشريف: "انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما"، وذلك بحضور الأهل دون خلوة وبحجاب المرأة الشرعي، مما يمهّد لخطوات تالية إن حصل القبول.

ويختلف الفقهاء في تحديد عدد المرات التي يمكن خلالها التأكد من هذا القبول، والكثير منهم يجمع على أن تكون ثلاث مرات على أبعد حد. ومن الممارسات الخاطئة هنا ما يلي:

١- أن تكثر عدد الزيارات بحيث يزيد التعلّق العاطفي بين العروسين أو عند أحدهما دون الآخر، رغم كونهما ما يزالا أجنبيان عن بعضهما، ثم إن تعرقل الزواج فيما بعد يصبح من الصعب معالجة الجروح النفسية وشفاء القلب من تعلقه. ولعل انشغال الإنسان بالآلام الناتجة عن هذا التعلق وانقطاع أمل اللقاء هو بالضبط مما يطمح له الشيطان ويحقق أهدافه عندما يزيّن للإنسان الخوض فيما هو أكثر مما حدده الشرع، ليوقعه في المشاكل وينشغل في حلها عن هدف حياته الأساسي: التعرّف على الله تعالى واجتياز امتحان الحياة بنجاح. في حين أن السبب الذي من أجله شرع الله تعالى هذه الجلسات هو كما أسلفنا، التأكد من حصول القبول المبدئي النفسي وليس التعرّف الكامل كما يظن البعض. ونرى من الواقع العملي أن الكثير من الناس يكثرون من هذه الزيارات القائمة على المجاملات والمظهر المثالي، ومع ذلك لا يصلون إلى التعرّف الحقيقي إلا بعد الزواج.

٢- أن يقوم أحد العروسين والأهل بالتظاهر بما ليس فيهم وبأملاكهم وسلوكهم، فيلجؤون للكذب وتعديل الحقائق كثيراً أو قليلاً، بهدف الحصول على موافقة الطرف الآخر، فإن وافقوا وبدأت الإجراءات العملية، يتبدى المستور وتتكشف الخبايا والأكاذيب. والعجيب أن الكاذبين يظنون فعلاً أنه حتى إن

انكشفت أكاذيبهم فإنهم سيتمكنون من الفرار بفعلتهم وإجبار الطرف الآخر على ما يريدون بعد أن يكون قد تم الزواج ولم يعد بالمقدور التراجع، وهم بذلك ينسون أن الكذب والظلم ظلمات في الدنيا والآخرة، وأن حقوق الناس لا يغفرها الله تعالى حتى يغفر أصحابها. قال أبو الدرداء: "البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت، افعل ما شئت فكما تدين تدان". فمن يكذب ويدّعي وجود مسكن شرعي أو عمل جيد أو علم طيب أو أي تفصيل مخالف للحقيقة التي ادعاها على الطرف الآخر، لا يقل عن أي كاذب غشاش سيلقى جزاءه في الدنيا والآخرة، سواء علم بالغش الطرف الآخر أم لم يعلم.

٣- أن ينشغل العروسان بالأمور العاطفية والتعبير عنها ويغفلا عن الأمور العقلانية العملية الهامة التي يجب الانتباه إليها لتساعد كلا الطرفين على اتخاذ القرار المطلوب. فترة الخطبة هي فترة جوهرية لأن قرار الإيجاب أو النفي فيها. لكن ما يحصل عملياً هو أن هذه تمرّ دون أن يستفيد منها الطرفان في سؤال الأسئلة الهامة والتثبت من صحة القرار. هي فترة يجب أن تكون عقلانية تماماً، وسيأتي يوم مناسب للتعبير عن العواطف بعد أن نتمكن من اتخاذ القرار السليم. أما هذه الفترة فمن مصلحة الطرفين أن يركزا على اتخاذ القرار في حينه، وليس بعد فوات الأوان.

- **خامساً: استخدام الوسيط ليتأكد الخاطب والمخطوبة من التوافق والتقارب في الفكر والدين والخلق بينهما:**

الأصل في الخطبة أن يكون هناك نظر وتعارف، والتوافق الفكري هو الانسجام بين العروسين في الفكر والدين والخلق والطبع، وهو أمر يصعب في معظم الحالات التأكد منه مئة بالمئة! فماذا نفعل؟

أولاً، لنعلم أن تطابق الأفكار ليس ضرورياً، بل إنه ليس واقعياً فلا يمكن أن يوجد تطابق كامل بين شخصين في كل شيء، حتى التوائم لا يتطابقون، ولكن

على المرء أن يفعل ما بوسعه ضمن إطار الشرع ليتأكد من وجود انسجام في الأفكار الأساسية بحيث يتمكن أصحابها من التعايش. حيث يسأل العروسان نفسيهما: بعد أن عرفت أن هذا هو فكر وخلق الطرف الآخر وطبعه، هل سأستطيع التعايش مع هذا الطبع والفكر؟

فإن كان الجواب نعم، فالخيرة فيما يسّره الله تعالى.

وإن كان لا، فمن الأفضل عدم الارتباط، فالتغيير مسألة غير مضمونة أبداً، وغالباً ما تبقى الطباع والخُلُق على حالها.

ولكي يتعرف كلٌّ من العروسين على فكر الآخر لتحديد مدى التوافق الفكري، خاصة في المعتقدات والمبادئ الأساسية، لابد من السؤال للحصول على تبادل حقيقي للأفكار دون زخرفة. غير أن محاولة هذا التعرّف بشكل مباشر قد أثبتت عدم جدواها بسبب ما يفعله الناس عادة من تجمّل لإرضاء المستمع، وبسبب ما يكون عند الملتزمين من حياء وعدم خبرة في الجنس الآخر.

ولتحقيق هدف التعرّف المبدئي فعلياً، نرى ألا يتم تبادل الأسئلة وتوجيهها مباشرة بين الخاطبين بل من خلال وسيط موثوق دينياً وحكيم يقوم بتوصيل الآراء دون زيادة أو نقصان، ليتسنى لكل من الطرفين التفكير في إجابات الطرف الآخر ومقاطعتها مع بعضها البعض والتوصل إلى تصور حول أفكار الطرف الآخر ومبادئه وطريقة تفكيره ومدى الانسجام معه.

ومن الأمثلة على ذلك الوسيط في السيرة النبوية، نرى السيد نفيسة، صديقة السيدة خديجة، والدور الذي قامت به بين رسول الله ﷺ والسيدة خديجة في التقريب بينهما. ولعل الأمر بالنسبة لأي منا يتيسّر بوجود أخ للمخطوبة أو أخت للخاطب تنقل كافة التساؤلات والإجابات بينهما بأمانة.

لنحاول التفكير ببعض الأسئلة والموضوعات الهامة التي تساعد على إعطاء تصورعن تفكير وعقلية الآخر وتوقعاته:

١). ما هو طموحك المستقبلي وأحلامك، بعد ٥ سنين مثلاً؟ على مستوى الدين، الشهادة، العائلة: وذلك من أجل أن نستنتج ما يتعلق بالإنسان وأهدافه في الحياة وعلاقته بالله تعالى ومدى حضوره تعالى في حياته اليومية وقراراته من حيث المحبة الله والطاعة، العلاقة بالقرآن الكريم ورسول الله ﷺ والسنة، ترتيب الأولويات، تحمل المسؤولية، معنى النجاح في الحياة (مادي؟ دراسي؟ شهرة؟ جمال؟).

٢). ما هو تصورك للإنسان/ـة الناجح/ـة في الحياة؟ (للتعرّف على الأولويات وفهم طبيعة الدنيا على أنها وسيلة ومزرعة للآخرة وحضور الآخرة في الذهن).

٣). ما هو تصورك لمفهوم الزواج؟ (للتعرّف على الهدف من الزواج، مفهوم القوامة وقيادة الرجل وإدارة المرأة: وفق الدراسات، كثير من الرجال يقولون الجنس وكثير من النساء يقلن الإنجاب).

٤). ما هي الصفات التي تحب أن تراها في شريك/ـة حياتك؟ (للتعرّف على رأيه بالمرأة وتوقعاته من ادوارها في الحياة، للتعرّف على رأيها بالرجل وتوقعاتها من أدواره في الحياة)

٥). ما هي الصفات التي لا تحتملها في الزوج/ـة؟

٦). هل ترى من الضروري إنجاب طفل في السنة الأولى من الزواج؟

٧). هل تعاني من أي مشاكل صحية أو عيوب خلقية؟

٨). هل أنت اجتماعي؟ (كيف سيكون مستقبلنا مع الآخرين) ومن هم أصدقاؤك؟ (لنعرف نوعية الأصدقاء)

٩). كيف هي علاقتك بوالديك؟ (لأن الزواج ارتباط بين عائلتين/ مجتَمَعَين).

١٠). كيف تقضي وقت فراغك؟

١١). هل لك نشاط خيري أو تطوعي؟ (الجانب الخيري والإيماني والرأي بالعلم والقراءة وغيرها).

١٢). ما رأيك لو تدخلت والدتي أو والدتك في حياتنا الشخصية؟ ماهي حدود التدخل؟ (لتمييز الأفضلية بين الشرع والتقاليد، المظاهر الاجتماعية، الحجاب طاعة لله أم انسجام مع المجتمع..).

أسئلة متداولة لنكتشف عيوب الخاطب / المخطوبة؟

١- كيف أعرف أن هذا عيب في الطرف الآخر؟

العيب هو ما لا يناسبك بالذوق لكن قد يناسب غيرك، والعيوب انواع:

قد يكون عيباً شرعياً (الالتزام بالدين)، عيباً مرضياً (مرض وراثي)، عيباً أخلاقياً (كذب، نفاق)، عيباً سلوكياً (سرعة الغضب، سلوك خطأ)، عيباً ذوقياً (لون البشرة، حجم الجسم من حيث النحافة والسمن....).

٢- هل كل عيب يجعلني يجب أن افسخ الخطبة؟

لا، فالقرار بيد الإنسان وحده، والعيوب أنواع من حيث التأثير والدوام فهناك: عيب لا يؤثر على العلاقة الزوجية وغير دائم: تشوه بسبب تعرّض لحرق (يمكن إصلاحه بعمليات جراحية أو يمكن عدم الانزعاج منه).

* عيب يؤثر على العلاقة الزوجية ودائم: (مرض وراثي عقلي ، عقم،..).

* عيب لا يؤثر على العلاقة الزوجية وهو دائم: (شدة القِصر، لون البشرة..).

* عيب يؤثر على العلاقة الزوجية وهو غير دائم: (مشاكل صحية متعلقة بالإنجاب وقابلة للحل).

٣- هل الزواج فيه عيوب أخرى اكتشفها بعد الزواج؟

نعم، فالإنسان يتغير مع العمر. كما أن للزواج بشكل عام حسنات وسيئات. ومن عيوب الزواج بذاته أنه يقيد الحرية سواء للزوج أو الزوجة، كما انه يُلزِم بمسؤوليات (نحو أسرة الطرف الآخر- الزوج/ـة).

٤- هل يجب أن نكون متوافقين في الصفات وقت الخطبة لينجح الزواج؟

هناك صفات تحبها وهناك صفات قد لا تحبها. وكلما كان هناك انسجام وتفاهم بين الزوجين، استمر ونجح الزواج (الطيور على أشكالها تقع)، وهناك حالات متعاكسة لكن متعايشين بشكل جيد. إذاً مرونة الإنسان وقدرته على التكيّف وسعة صدره هي التي تحدد ما إذا كان الزواج سينجح أم لا.

٥- هل ينجح الزواج بين اثنين من مذهبين أو ثقافتين اجتماعيتين مختلفين؟

المعادلة العامة: كلما كان الزوجين متقاربين في البيئة والتفكير والثقافة كان هذا مساعداً للنجاح في الزواج، والعكس يتطلب الكثير من الجهد. المسلم يحق له أن يتزوج غير المسلمة، مما يعني أنه يمكن ان ينجح هذا الزواج، ومن باب أولى أن ينجح من مذهبين مختلفين أو ثقافتين مختلفتين. قدرة الإنسان على التكيف والتعايش مع العادات والتقاليد المختلفة هي أمر لا يقدر عليه الجميع.

٦- قد يكون الطرف الآخر ممثلاً لا يُظهر إلا الجميل المثالي، فكيف أعرف العيوب الخفية كالشذوذ وتعاطي المخدرات والمسكرات والعلاقات، فهناك وجه ثانٍ لا يظهر لي بسهولة فكيف أعرفه؟

كلٌ من الرجل والمرأة قد يمتلكا المهارة على التمثيل والكذب. فهناك من يعرف من خلال التجارب كيف تفكر البنات وبالتالي يكذب ويمثّل ويعطيهن الأجوبة المرضية، وكذلك من تتدرب على المهارة لدى معرفة طريقة خداع الشاب. لذلك لابد من التقصي والتتبع للخاطب والمخطوبة وطريقة تعبير كلٍ منهما عن نفسه بعيداً عن الطرف الآخر لتتجمع المعلومات وتتكشف فلا نفاجأ بعد فوات الأوان. ومن المؤشرات الدالة على الكثير من المعلومات أن نلاحظ الأم والأب والبيئة التي تربى فيها الآخر وأصدقاءه وكذلك حساباته على وسائل التواصل الاجتماعي، فهذا قد يعطي ٨٠٪ من المعلومات. في الواقع، كلُ منا عنده ثلاثة شخصيات:

* **الشخصية ١:** للناس: التي يراها كل الناس: مبتسم محترم... (فقط إيجابيات).
* **الشخصية ٢:** للمقربين: لا يراها إلا المقرّبون كالأهل والجيران والأصدقاء المقربين (إيجابيات وسلبيات).
* **الشخصية ٣:** للذات: لا يراها إلا الإنسان وربه، ومن الصعب جداً التوصل إلى معرفة هذه الشخصية، حيث تبقى نسبة ٢٠٪ غالباً خفية لا تظهر إلا على المحك. ولذلك هناك أشياء لن تُعرف إلا بعد الزواج: "هن لباس لكم وأنتم لباس لهن". وعلينا أن نبذل أقصى جهد ثم نطلب كشف المستور من الله تعالى.

٧- كيف أعرف أن هذا الشخص مناسب لي؟

معايير عامة: النبي ﷺ قال عن المرأة: "ذات الدين"، وعن الرجل قال: "ترضون دينه وخلقه".

معايير خاصة بكل إنسان: أعرف نفسك ثم انظر إلى الآخر. كلما كانت هناك صراحة ينجح الزواج.

٨- ما هو فرق العمر المناسب لنجاح الزواج؟

يقول علماء علم النفس أن المعادلة الأنسب هي: العمر ÷ ٢ +٧ وأعلى: فمن يبلغ من العمر ٣٠ ÷ ٢ = ١٥ +٧ = ٢٢، يُفضل أن يتزوّج من يبلغ عمرها ٢٢ وما فوق ولكن ليس أقل.

تقارب العمر أدعى لنجاح التفاهم والزواج لكن النبي ﷺ تزوج الأصغر منه والأكبر منه، فالأمران قد ينجحا إذا كان لدى الطرفين مرونة وقدرة على التكيف مع الآخر.

٩- سؤال للجنسين: هو (هي) يغار عليّ ويشك بي كثيراً فهل أكمل الزواج؟

الغيرة أمر موجود لكن يجب أن يكون له حدود حتى لا يصل الطرفان إلى كسر الثقة بينهما، فتضيع أهم أركان الزواج: الثقة والاحترام. فهناك فرق بين

الغيرة المحمودة التي تحافظ على العِرض وتمنع ذوي النفوس المريضة من الإيذاء، والغيرة المذمومة التي تخنق الأسرة وتبذر بذور الشك المرضي فتتهدّم العلاقة الزوجية. فالشك الطبيعي قد يكون سبقته علاقات أو قد يكون قرأ وشاهد في الإعلام ما يجعله يشك ففقد الشخص ثقته بالغير، وهذا يمكن التفاهم عليه ولكنه يأخذ وقتاً. أما الشك المرضي فهو يحتاج إلى علاج طبي عند مختصين ولا يُنصح بهذا الزواج.

١٠- سؤال للجنسين: كيف أعرف معتقداته (معتقداتها) / طباعه/ بخله/ منفتح أم لا؟

بعد ان تتم الرؤية الشرعية ويؤخذ القرار المبدأي بالموافقة، لابد من الاستمرار بتجميع المعلومات ولكن دون لقاءات بين الخاطبين، ففي فترة الخطوبة إلى أن يتم الزواج، تبقى أسرة المخطوبة على تواصل مع الخاطب وأسرته بهدف التعرّف على صفات أخرى وطريقة العيش ومدى الانفتاح وسعة الأفق والكرم وغيره. في نفس الوقت نستفيد مما نملك من بصر وعقل وقلب: بصر ينظر إلى الآخر ويحكم على الشكل ما إذا كان مقبول أم لا، عقل يحاور بلسان يسأل الأسئلة الصحيحة (السؤال نصف العلم) ويربط الأمور ببعضها، قلب يلاحظ الميل والقبول. فالحوار يوصل إلى العلم: لسان سؤول وقلب عقول.

١١- كم عدد الزيارات/ اللقاءات المناسب وكم تستمر فترة الخطوبة؟

إذا لم يتمكن الخطيبان من التوصل إلى قرار مبدأي بعد لقائين مثلاً، فلا مانع من لقاء ثالث. أما فترة الخطوبة فهي تعود لعادات البلد، لكن عموماً لا يُنصح ان تزيد عن ثلاثة أشهر ولا تكون خلال هذه الفترة خلوة كي لا يزيد تعلق أحدهما بالآخر قبل إتمام الزواج.

➢ **سادساً: عقد القِران:**

وهو عقد القران الرسمي، والذي تكون بعده فترة الخطوبة للتحضير للعرس والإشهار. ومن الناس من يفضل العقد الشرعي الذي يعقده الشيوخ المختصين ومنهم من يفضل عقد المحكمة المدني مباشرة، ولكل من الأمرين إيجابيات وسلبيات، فعقد الشيخ سهل لكنه لا يضمن الحقوق المدنية ولا المادية للمرأة. أما العقد المدني فهو يضمن الحقوق بشكل أفضل، فيفضله أهل القانون. ولعل الأمر متروك لأسرتي العروسين للتصرف وفق ما تسمح به الظروف، على أن يقوم المرء بما فيه ضمان الحقوق وعدم إضاعتها.

أما ما يفعله البعض من الخطبة الشفهية ولبس الخواتم والبقاء دون عقد، فهي تُبقي الخاطبين أجنبيين عن بعضهما ولا يجوز لهما التصرف كزوجين بينهما عقد، فالخطبة مقدمة للنكاح، وليست نكاحاً، ولكل طرف الفسخ بسبب وبدون سبب متى شاء، والعلاقة بين الرجل والمرأة في حال الخطبة علاقة رجل بامرأة أجنبية لا تحل له فلا يختلي بها، ولا يصافحها، ولا يخرج معها، ولا يخاطبها على الهاتف أو الواتس أب، كونها ينتج عنها تعلّق قبل تثبيت الزواج والإشهار ومشاكل لا حصر لها.

➢ **سابعاً: فترة التحضير ثم إتمام الزواج بالاحتفال والإشهار والمأدبة:**

وهي الفترة التي تسبق العرس، ويُنصح هنا بما عُرف في الزواج الإسلامي السليم عند السلف الصالح كما يلي:

١). ألا تطول فترة التحضير، مما قد يؤدي إلى الخلافات ويؤخر الاستقرار.

٢). ألا يزيد اختلاط العروسين قبل إشهار زواجهما وأن يؤجلا الاستجابة الجسدية للعواطف إلى ما بعد البناء والإشهار، حفاظاً على حقوق كل منهما.

٣). أكثر احتفال الزواج بركة أشبهه بما رضي عنه النبي ﷺ، ومن ذلك ما يلي:

a. جمع الناس والوليمة لهم دون مغالاة، فقد بلغ الترتيب لحفل الزفاف في زماننا من التعقيد ما يحتاج إلى وقت طويل قبله ويسبب إرهاقاً وشد أعصاب، فيذهب بالفرحة ويمحق البركة بالتركيز على المظاهر والتبذير وفقدان البساطة. قال النبي ﷺ لعلي عند زواجه من فاطمة: "إنه لا بد للعرس من وليمة" (رواه أحمد) فقال سعد: "عليّ كبش"، وقال غيره: "عليّ كذا وكذا من ذرة"، وجمع له رهط من الأنصار أصوعاً ذرة، فكانت وليمة زواج علي وفاطمة رضي الله عنهما.

b. إظهار الفرحة بالأناشيد الطيبة الفرحة لإدخال السرور على الناس، لأن النبي ﷺ شجع على اللهو المباح إذا قال لعائشة عن الحفل: "ما كان معكم لهو؛ فإن الأنصار يعجبهم اللهو؟" (رواه البخاري).

c. ألا يدخل الرجال على النساء في حفل العرس، لقوله ﷺ لما خطب علي فاطمة: "إياكم والدخول على النساء" (أي غير المحارم). فقيل: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ فقال: "الحمو الموت" (رواه البخاري ومسلم).

٤). أكثر الزواج نجاحاً واستمراراً ما يعتمد الآية: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾: أي الصبر من الطرفين على بعضهما والتغاضي عن الأخطاء، ومحاولة التوفيق بالمودة والتعامل بنضج، والتعرف على مبادئ التعامل بالذكاء الاجتماعي التي تعين الإنسان على السلوك المناسب الحكيم وفق مصلحة الأسرة كلها. ومن هذه المبادئ:

١/ . البعد عن التوقعات الرومانسية والأحلام غير الواقعية التي يرسمها لنا الإعلام والمجتمع الجاهل.

٢/ . بعد الزواج لا تعود الحياة مقتصرة على "أنا" بل تحوّل الأمر إلى "نحن".

٣/ . الزواج الناجح يحتاج لجهد من الطرفين وعمل مشترك، ولا يأتي بسهولة.

٤/ . التغاضي والتغافل عن العثرات بحكمة. اعتمد سياسة اغفر وانسى العثرات بحكمة.

٥/ . أوجد التفاهم من خلال محاولة فهم شخصية وطباع الآخر، وتوقّع الاختلاف بالطباع، ثم حاول الوصول لاتفاقات قد تتضمن تنازلات من الطرفين وصولاً "لأرض مشتركة".

٦/ . تجنب ما يكرهه الآخر من أقوال وأفعال.

٧/ . إياك أن تفعل ما يكسر ثقة الآخر بك.

٨/ . لا تسمح لأحد أن يتدخل في الشؤون الداخلية لمنزلك، خاصة في الخلافات، إلا عند التحكيم الرسمي.

٩/ . تحدث مع الآخر عما يزعجك لتصل إلى حل، وليس لتغضب أو لتنتقم، استخدم أسلوب التعبير عما يجول بخاطرك وليس الإنتقاد: أي قل: "أنا يزعجني ذاك السلوك..." وليس "أنت مزعج ...".

١٠/ . الزواج ليس بوتقة اندماج لتصبح طريقة التفكير أو السلوك للشخصين واحدة، بل هو تعايش.

١١/ . تذكر أن هدف الزواج هو إعانة الذات والآخر على التقرب من الله تعالى (هدف الحياة).

١٢/ . "أو تسريح بإحسان" تعني بعد استخدام كافة الوسائل والمحاولات لإنقاذ الأسرة، وعندما تنعدم فرص التعايش هناك حالات يصبح الطلاق فيها حلاً، وهنا لا يجوز أن يكون الطلاق إلاّ "بإحسان" أي دون ظلم، بل وبعطاء إضافي سواء معنوي او مادي لتفادي المزيد من الخسائر.

٥). من يبني زواجه على غير الإسلام فسيواجه نتائج غير مضمونة. ومن يبني زواجه على الإسلام لا يندم.

للمزيد من المعرفة: د. جاسم المطوع :التربية الجنسية والثقافة الجنسية:
https://www.youtube.com/watch?v=TvPtnOyzUss
موقع د. جاسم المطوع : خدمات هذه المنصة الأسرية للوصول إلى خطبة ناجحة وزواج سعيد https://www.drkhutooba.org.

الفصل السادس

حقوق المرأة في التفاوت والمساواة

١/ . الحقوق الاجتماعية للمرأة:

وهي مسائل تتعلق بتنظيم علاقة المرأة بالرجل وبأسرتها وبالمجتمع عموماً وواجبات الرجل والأسرة والمجتمع تجاه المرأة، سواء كانت ابنةً، أخت، والدة، زوجة، وإلى آخره من أدوار تقوم بها المرأة في المجتمع. بعض هذه المسائل عليها إشكاليات بسبب اختلاطها بالأعراف والتقاليد من جهة، وبسبب سوء التطبيق من جهة أخرى. لذلك فإنه من الضروري أن نسلط الضوء على بعضها بهدف فهم الحكمة والقصد الشرعي منها لإزالة الالتباس. وقبل ذلك، لابد من أن نضع في الحسبان النقاط التالية:

١). الثقة بعدل الله تعالى:

يحب الله تعالى كلاً من الرجل والمرأة بشكل متساوٍ، ولا محاباة لطرف دون الآخر ولا تفاضل إلا بالتقوى، فالله هو رب العدل المطلق ولا يليق بجلاله أن نظن به سوءً، لا يليق بكمال عدله أن يعطي حقوقاً لطرف ما أكثر من الطرف الآخر. حاشا لله تعالى أن يفعل فعل البشر، فالبشر شأنهم النقص والغفلة، حتى العادل من البشر يمكن أن يخطئ الحكم أو يسهو، أما الله فهو فوق ذلك كله، ومن يعدل إن لم يعدل الله عز وجل؟

٢). الثقة بحكمة الله تعالى:

منذ بدء الخليقة والبشر يحاولون عبر العصور أن يأتوا بأنظمة اجتماعية عادلة يتجنبون فيها ظلم أي فرد، ومن أمثلة هذه المحاولات الحركة النسوية في الغرب

والتي حاولت أن تعيد للمرأة حقوقها بطرق مختلفة، لكنها كانت محاولات فاشلة لأنها ببساطة مُعرضة عن النظام الإلهي في ترتيب المجتمع وتنظيمه، ومكتفية بحلول بشرية آنية، في حين أن النظام الإلهي العارف بالنفس الإنسانية وما يناسبها يحل المشاكل من جذورها. إذاً، من تمام الإيمان أن نضع ثقتنا بالحلول الإلهية وحدها، كونها الحلول الناجحة والمناسبة للإنسان، لا الحلول البشرية القاصرة.

٣). الثقة برحمة الله تعالى:

عندما تشتد الظروف لابد أن يجعل الله تعالى للإنسان مخرجاً ما، فالله لا يمتحن الإنسان فوق طاقته ولا يذره وحده في الظروف الصعبة دون عون، فيستمر في إرسال المعونة والإشارات للإنسان ليحل مشاكله ويتغلب على الصعاب، رحمة منه تعالى بهذا المخلوق الضعيف الذي لا يدرك حجم الكارثة إن لم يستجب لربه. وذلك ما نراه في الفقه الإسلامي، فإذا لم يستطع الإنسان القيام بواجب ما، سمح له الله تعالى بطريقة أسهل فإن لم يستطع فالأسهل، فإن انعدمت قدرة الإنسان وأخذ الله ما وهب، أسقط عنه ما أوجب. إذا لم يوجد الماء يُسمح لك بالتيمم، إذا لم تتمكن من الصلاة واقفاً فاجلس أو استلقِ، إذا لم تستطع أن تحج فلست مكلفاً. الرحمة هي أساس القوانين والأحكام وليس التعنت والتشديد، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾، ليس المطلوب كبح الغرائز وليس الضغط النفسي بل التخفيف والتيسير والتنظيم ليرتاح الناس نفسياً ويتمكنوا من تحقيق هدف حياتهم في معرفة الله تعالى.

لنرَ بعض المسائل المتعلقة بالحقوق الاجتماعية للمرأة في الإسلام ثم لنقارنها مع الحلول التي اقترحها الغرب. الحقوق الاجتماعية للمرأة في الغرب ما زالت في أولها وما زالت تتخبط في البحث عن قوانين متكاملة تنصفها. والواقع أن التفكك الأسري الذي وصله الغرب أكبر دليل على الفشل الذريع الذي يسقط

فيه كل من يبحث عن الحلول خارج نطاق التشريع الإلهي، وهؤلاء يخطئون في فهم الشريعة الإسلامية في الحقوق والميراث وقوانين الأسرة كالقوامة والتعدد وغيرها، ويحاولون إيجاد حلول بشرية وضعية لكنها تزيد الطين بلة لأنها حلول بشرية تعتمد مبدأ التجربة خير معلم، أي بأن تضع الحل الإلهي جانباً وتقوم بتجربة الخيارات المتاحة (حتى لو كانت ضارة) حتى تصل إلى الصواب، غير أن هذا يعني حالات فشل كثيرة يدفع ثمنها الإنسان، قاتلة للفرد كارثية للمجتمع، وما أسرع إفساد المجتمعات وما أصعب إعادتها إلى جادة الصواب.

١- القوامة:

القوامة في الإسلام قائمة على تحمل مسؤولية قيادة الأسرة وتبعات هذا التحمل من إنفاق على أفراد الأسرة والقيام على شؤونهم وحمايتهم وتعليمهم وتربيتهم ودفع الأذى عنهم. وهذا يستلزم بالطبع أن نوجّه أفراد الأسرة إلى الاستجابة لهذا القائد والتعاون معه بالطاعة ليتمكن من أداء واجبه. وهذا هو معنى القوامة: تنظيم الدور القيادي لأحد الأفراد كي تتوضح المسؤوليات ونتجنب الفوضى وصراعات القيادة، فالسفينة تحتاج إلى ربّان واحد لا أكثر، فيكون هو المسؤول عن القرار الأخير أمام الله والناس، في حين لا يُحاسَب الآخرون على هذه القرارات لأنهم غير مكلفين بالقيادة، ويؤجرون على الطاعة.

غير أن هناك نقاط ملتبسة حول القوامة منها ما يلي:

١. أن نظن خطأ أن القوامة تشريف، في حين أنها تكليف صعب يدفع الرجل لتنفيذه عمره كله.
٢. أن نظن خطأ أن القوامة تتطلب الطاعة العمياء، في حين أن الإسلام يؤكد على أنه لا طاعة في معصية الخالق.
٣. أن نظن خطأ أن القوامة تقّيد المرأة، لكنها في الواقع ترفع عنها المسؤولية، وتحاسب الرجل على قراراته الخاطئة بحق أفراد الأسرة.

٤. أن نظن خطأ أن القوامة استبداد بالرأي ومنع للشورى، في حين أن الشورى هي منهج النبي ﷺ المعروف.

٥. أن نظن أن القوامة تعطي الرجل حق ظلم أهل بيته، في حين أن حساب الله تعالى له في الدنيا والآخرة شديد.

٦. أن نظن خطأ أن رفض القوامة هو رفض للظلم، في حين أنه رفض لنظام إلهي عادل.

٧. أن نظن خطأ أن الظلم مسموح من باب القوامة، لكن الخطأ البشري ممنوع.

٨. أن نظن خطأ أن القوامة للرجل لأنه أفضل من المرأة، في حين أنهما متساويان في القيمة مختلفان في الأدوار.

٩. أن نظن خطأ أن زمن القوامة قد انتهى، في حين أن القوانين الإلهية لتنظيم المجتمع غير مرتبطة بزمن معين.

١٠. أن نظن خطأ أن من ينفق تنتقل إليه القوامة، في حين أن القوامة غير محصورة بالإنفاق فقط بل هي قيادة للأسرة.

١١. أن نظن خطأ ان الخضوع للقوامة ضعف، في حين أن القوامة قانون إلهي والخضوع فيه هو لله تعالى وحده.

إنه ليس في قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ أي انتقاص من النساء بل إن العلاقة الأسرية تقتضي وجود قوامة ولابد من تستسلم لها المرأة، فهو تنظيم الله تعالى، فلا يمكن أن تنتظم أية مجموعة دون قائد أو إمام، كما أنه لا يمكن أن تنتظم أية مؤسسة دون وجود مدير لها، ولذلك لابد من وجود مدير للأسرة. وقد جعل الله تعالى الرجل هو المدير لسببين: أولاً التعيين الإلهي، وثانياً ما يبذله من المال: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ وهذا يعني أنه لا يمكن أن يكونا متساويين في الأسرة، لابد أن يكون

أحدهما مديراً. وإذا قلنا أن العلاقة بينهما كما هي علاقة المدير والموظف، فعلى الموظف طاعة المدير دون أن يعني هذا أنه أفضل منه، فقد يكون الموظف أفضل من المدير عند الله وأنفع للناس منه وأهم منه في تدبير امر العمل، لكن القوامة هي لتحمّل المسؤولية وتستتبع حق الطاعة بالمعروف.

أما في الغرب فقد تعرّض مفهوم الأسرة للتشويه، فلم يعد يعني ذلك الكيان الذي يتكون من الزوج والزوجة والأولاد، والمسؤولية التي يتحملها كل فرد من أفراد الأسرة تجاه الآخرين. فهناك أنواع جديدة من الشراكات التي حلت محل هذا الكيان الطبيعي، فهناك الشراكة بين الرجل والمرأة في المسكن دون تحمل أية التزامات تجاه الطرف الآخر، وهناك الشراكة المثلية الشاذة بين رجلين أو امرأتين. ومما يؤسف له أن الغرب الذي يتبنى هذه الأشكال الشاذة المختلفة من الأسر لا يزال لا يريد الاعتراف بخطأ هذه الأشكال، رغم أن علماء الاجتماع ينذرون بانقراض هذه المجتمعات في المستقبل القريب بسبب عدم اتخاذها للطريق الطبيعي في بناء الأسرة، مما خفّض معدلات المواليد فلم تعد تتناسب مع النسب المطلوبة للنمو السكاني في العديد من الدول الغربية مثل ألمانيا والسويد وهولندا وغيرها، ومع ذلك فهم يحاولون مواجهة هذه المعضلة بشكل غير مباشر، بإغراء الناس بالهجرة إليهم وغيرها من الأساليب وليس من خلال العودة إلى الأسرة الطبيعية السليمة.

ومن النتائج الناجمة عن وضع الأسرة في الغرب تقطع أواصرها بسبب طغيان النزعة الفردية وتفضيل الربح والاستثمار على كل الروابط الأسرية، والسبب هو شعور أحد الزوجين بأن رباط الزوجية أصبح يمثل قيداً على فرديته وحريته الشخصية، وأن الزواج صفقة خاسرة مادياً، والإنجاب تضحية لا ضرورة لها وعقبة في طريق التطور الذاتي، فالحل المعمول به هو سعي كل من الزوجين للاستقلال بحياته الخاصة بعيداً عن البيت وأفراد الأسرة والمسؤولية التي يتحملها

كل فرد. لذلك يعاني الغرب من انحطاط أخلاقي واستغراق في الشهوات والماديات التي طغت على كل شيء بما في ذلك رابط الزواج والعلاقات الأسرية.

تعتبر الأنظمة الاجتماعية الغربية أن القوامة تمييز ضد المرأة، وأن قيادة المنزل يجب أن تكون مشتركة وعلى قدر التساوي التام بين الرجل والمرأة فلا يكون هناك مسؤول واحد عن الأسرة، وليس هناك ما يلزم الرجل بالإنفاق على أسرته ولا ما يجبره على حمايتها، فالأمر متروك لوازعه الشخصي ورادعه الأخلاقي الخاص، ولذلك نرى أن ٢٧٪ من الرجال في أمريكا تعولهم نساؤهم رغم ارتفاع نسب الطلاق إلى ٦٠ بالمائة وزيادة العنف ضد النساء[١]. وإذا ازدادت صعوبات الحياة فإن الرجل لا يتورع عن ترك أسرته، وكذلك المرأة لا يوجد ما يمنعها دينياً أو عرفياً أو أخلاقياً من ترك أسرتها والرحيل عنها لتبحث عن تحقيق ذاتها، حيث تشير الإحصاءات المتعلقة بالطلاق أن حوالي ٥٣٪ من حالات الزواج سنوياً في أمريكا تنتهي بالطلاق، ونرى أعلى نسبة في العالم في بلجيكا وهي ٧١٪[٢]، ويرجع السبب في العديد من الحالات إلى الإرهاق وعدم الرغبة بتحمل مسؤوليات الأسرة، والرغبة بتحقيق الأحلام الشخصية.

قد بدأ هذا التحريف لمفهوم الأسرة الطبيعي يدخل في العالم العربي والإسلامي من خلال الإعلام وإدخال مصطلحات وتعريفات جديدة للأسرة في الندوات والمؤتمرات عالمية تخرج توصياتها بقرارات تبيح الإجهاض وتحمي الشواذ. وتقنن للعلاقات غير السوية وغير الشرعية، حيث كشفت لجنة المرأة والطفل باللجنة الإسلامية العالمية للإغاثة عن مخططات تستهدف كيان الأسرة

---

(١) شعبة الإحصاءات الاجتماعية والتركيبة السكانية التابعة للأمم المتحدة.
UN Department of Economic and Social Affairs, Statistics Division.

(٢) شعبة الإحصاءات الاجتماعية والتركيبة السكانية التابعة للأمم المتحدة.
UN Department of Economic and Social Affairs, Statistics Division.

وتدميرها[1] من خلال المؤتمرات الدولية وجمعيات أهلية، وممارسة الضغوط من خلال جماعات الضغط العالمية وتسخير وسائل الإعلام لتحقيق ذلك منذ قرون، وعلى يد أكبر علمائها وفلاسفتها مثل ماركس وفرويد ودركايم، الذين تحدثوا عن مفاهيم الزواج والأسرة بتحقير لتسخيفها في النفوس، حيث يقول دركايم أن الزواج ليس من الفطرة ولا يمكن الحديث عنه ككيان ثابت. ويقول كارل ماركس أن المرأة لا بد أن تعمل وتخرج من قيد البيت، وأن الأخلاق مجرد انعكاس للوضع الاقتصادي المتطور على الدوام وليست قيمة ثابتة.

أما فرويد فيقول أن معظم المشاعر ناشئة من الكبت من عقدة أوديب من العشق الجنسي الذي يحسه الولد نحو أمه والرغبة في قتل أبيه، وأن الأسرة تتسم بطابع القسوة وهي كبت ضار بكيان الإنسان ولابد للمرأة من أن تحقق كيانها تحقيقاً جنسياً خالصاً من القيود. ولقد استطاعت هذه الأفكار خلال مائة عام فقط أن تحول المجتمع الأمريكي من مجتمع محافظ إلى مجتمع يعاني من الانحلال وانتشار الفاحشة وتقبّل الرذيلة، مما وجّه الأسرة التقليدية (زوج وزوجة وأطفال) إلى الاندثار. ففي الستينيات، شكلت العائلة التقليدية نسبة ٥٧٪ من كل العائلات، ومع عام ٢٠٠٠ هبطت نسبة العائلة التقليدية إلى ٣٥٪[2]. وظهرت مؤخراً مصطلحات جديدة مثل الأزواج الهاربون Runaway Husbands ، ومتلازمة هجر الزوجات Wife Abandonment Syndrome، وغيرها مما يصف ظواهر متعلقة بهجر الأزواج للمنزل دون سابق إنذار ودون طلاق أحياناً.

---

(١) دراسة "الأبعاد الدولية لقضايا المرأة والطفل" في مركز الدراسات المعرفية، لجنة المرأة والطفل باللجنة الإسلامية العالمية للإغاثة.

(٢) الفردوس المستعار والفردوس المستعاد، د. أحمد خيري العمري.

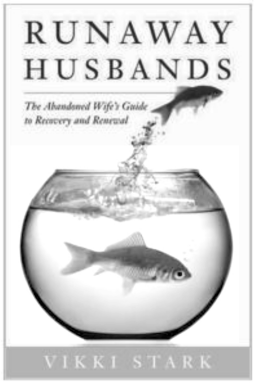

ومن الأبحاث الكثيرة حول ظاهرة هجران الزوج للمنزل، ألّفت الباحثة وخبيرة العلاج النفسي الكندية فيكي ستارك Vikki Stark عدة مؤلفات تتحدث عن الظاهرة وأسبابها وكيف تعالج الزوجة المهجورة نفسيتها بعد زمن من الزواج ثم مفاجأة الهجر.

وكذلك الحال بالنسبة للأمهات اللاتي يهجرن بيوتهن، حيث توضح الإحصائيات[١] أن عدد الآباء العزاب بسبب ترك الزوجات لهم يتزايد في أمريكا من ٦٠٠,٠٠٠ حالة في عام ١٩٨٢ إلى أكثر من مليوني حالة خلال عام ٢٠١١.

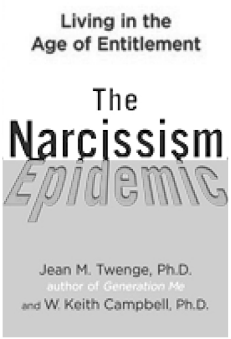

ويعزو الباحثون[٢] هذه الظاهرة إلى النرجسية السريرية Clinical Narcissism والتي تعني عقلية الأنانية المفرطة وحماية الذات لحد الهوس والتي تشجعها ثقافة الفردية والمصلحة الذاتية وعدم التنازل، والتي تطال حتى العلاقة بين الوالد وأبنائه، مما يجعل الوالدين يقاومان التغيير الذي يحصل لحياتهم عند الإنجاب والانخراط في التربية والعناية بأولادهم، فيجدون أنفسهم يملكون الحق للفرار، وتشجعهم ثقافة تحقيق الذات والمصلحة الذاتية السائدة، على ترك كل شيء والهروب لتحقيق السعادة بالتخلص من العائلة ومسؤولياتها[٣].

---

(١) مكتب التعداد والإحصاء في الولايات المتحدة US Census Bureau.

(٢) مطبوعات الأبحاث العلمية في المجلة العلمية المعتمدة: السيكولوجية المجتمعية وعلم نفس الشخصية Social Psychology & Personality Science.

(٣) من أبحاث د.جان تونغ ود.كيث كامبل (من علماء النفس في جامعتي ميتشيغان وشيكاغو) حول: وباء النرجسية The Narcissism Epidemic.

فالحمد لله الـذي أكرمنـا بنظـام الإسـلام وتحمّـل الأب لمسـؤولية الإنفـاق والحماية، وتحمّل الأم لمسؤولية الرعاية والتربية دون كلل أو ملل، واستجابة للفطرة التي وضعها الله في كل إنسان ورغبة في الحصول على رضا الله تعالى عندما يكبر الأبناء وهم حاصلون على احتياجات الصحة والعقل والقلب والروح.

٢- الميراث:

وهو حق منصوص عليه في القـرآن الكـريم والسـنة المطهـرة بعـد أن كانـت المرأة نفسها تورَث كجزء من ضمن الميـراث، فقـد كـان الرجـل إن مـات، ورث ولده (فيما يرث من متاع أبيه) زوجاته جميعاً.

وقد قال عمر بن الخطاب: "والله إن كنا في الجاهلية ما نعدّ للنساء أمراً، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم".

وعلم المواريث يتضمن كافة الحالات والتفاصـيل التـي تـنظم توزيـع الميـراث بالاستناد إلى مقاصد الشريعة، أي فيما رتبه الله تعالى وفـق الاحتياجـات ومـا يترتـب على ذلك، ومن يعرف هذه الاحتياجات سوى الخالق؟ ومن النقاط الملتبسة ما يلي:

١- أن نظن خطأ أن الميراث يضيع إن أُعطي للأنثى، في حـين أن هـذا الاحتمـال لا يبرر منعها إياه حتى لو أضاعته، فهو مالها الخاص ولها حـق وحريـة التصـرف فيـه وعليها مسؤولية إنفاقه. ومن الناس من يرى أن إعطاءها مالها هو في الحقيقـة إيصـال المال لزوجها فلا تطيب نفوسهم أن يؤول مالهم إلى الغريـب، وفـي الجاهليـة كـانوا يرون أن مال الزوجة يؤول إلى زوجها الـذي لا تنتفـع القبيلـة بـه فـي القتـال، فكـانوا يقولون: لا يرثنا إلا من يحمل السيف، ويحمي البيضة (أي العِرض).

٢- أن نظن خطأ أن حصـول المـرأة علـى ميراثهـا هـو أمـر يمكـن حصـوله علـى التراخي، في حين أن الحقوق المالية ديون يجب أن تؤدى فوراً، خاصـة كـون قيمة العملات التي يحسب فيها الميراث تختلف بمرور الزمن.

٣- أن نظن خطأ أن غنى المرأة يغنيها عن الحصول على ميراثها، في حين أن حق الغني يبقى حقه.

٤- أن نظن خطأ أن الله تعالى يغفر لمن يأخذ حقوق الناس، في حين أن الله لا يغفر حتى يغفر صاحب الحق.

٥- أن نظن خطأ أن حديث "أنت ومالك لأبيك" يجيز أكل حق الابنة، في حين أن أكل ميراثها من أمها دون موافقتها التامة حرام حتى على أبيها.

أما عندما ننظر إلى أنظمة وأنماط الميراث التقليدية عند شعوب العالم نجدها متعددة ومتفاوتة النسب وفق أسباب وضعها الشعوب لأنفسهم بما يناسب احتياجاتهم وبيئاتهم والتحديات المحيطة بهم، والتي تعدلت وتغيّر تطبيقها عبر الزمن والتاريخ. ومن المعلوم أن الكنيسة لم تضع للميراث نظاماً محدداً[١]، إنما وضعت مبادئ روحية لحل المشاكل في ظلها، وينطبق على ذلك المال والميراث اعتماداً على ما ورد في الإنجيل: "وَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمْعِ: يَا مُعَلِّمُ، قُلْ لأَخِي أَنْ يُقَاسِمَنِي الْمِيرَاثَ. فَقَالَ لَهُ: يَا إِنْسَانُ، مَنْ أَقَامَنِي عَلَيْكُمَا قَاضِيًا أَوْ مُقَسِّمًا؟ وَقَالَ لَهُمُ: انْظُرُوا وَتَحَفَّظُوا مِنَ الطَّمَعِ، فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ لأَحَدٍ كَثِيرٌ فَلَيْسَتْ حَيَاتُهُ مِنْ أَمْوَالِهِ". (لوقا ١٢:١٢-١٥).

أما في اليهودية فيمكن إيجاز نظام الإرث بما يلي[٢]: أسباب الميراث أربعة: وهي البنوة والأخوة والعمومة والزوجة (الزوج يرث زوجته وهي لا ترثه). والميراث أبوي، أي يأتي من الأب الذي يورث نسله من الذكور فقط ولا ترث البنت من الأراضي بل من المال العيني. ويتلقى الابن البكر ضعف ما يرثه إخوته الباقين، فهو مميز عنهم بعلة البكورة. والأم لا ترث من أبنائها ولا من زوجها،

---

(١) موقع الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القس: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية- الإسكندرية- مصر.

(٢) بيان قواعد الإرث عند اليهود، د. محمد يوسف موسى.

ولكن للأرملة الحق في أن تعيش من تركة زوجها المتوفى. كما أن البنت اليهودية لا حق لها في ميراث أبيها من الأراضي إذا تزوجت في حياته، فإذا أرادت الميراث فعليها أن ترفض الزواج حتى يموت الأب. والهدف من عدم توريث البنت الأرض هو ما يسميه حاخاماتهم "شريعة بقاء الأرض في أملاك السبط"[1] فالأولاد ينسبون للسبط، ولكي تبقى الملكية في السبط لا ترث البنات أراضٍ ولكن يرثن أموال.

ونرى أن التطبيقات الحالية عند معظم شعوب الغرب تميل نحو إعطاء الابن الأكبر الحصة الأكبر في الميراث وأن الذكور يحصلون على أضعاف حصص الإناث وأراضي الأسرة وممتلكاتها العقارية، وهذا ما يسمى ميراث البكورة للابن البكر، كما هو الحال في إسبانيا والسويد وفرنسا وبولندا والنرويج والبرتغال وبريطانيا، خاصة حيث يطبّق نظام الابن الأكبر وبشكل صارم في أوساط طبقة النبلاء الذين يورّثون البكر من أبنائهم المال واللقب النبيل، بينما لا ترث النساء شيئاً، خاصة في اللوكسمبورغ وبلجيكا وهولندا، ولذلك تنادي الجماعات في الغرب بالمساواة من أجل حصول المرأة على حقها في الميراث. ولابد أن نستنتج أن عدم إعطاء المسلمين للنساء حقوقهن في الميراث لإبقاء المال في الأسرة هو تشبُّه بالممارسات الغربية الظالمة التي جاءت الشريعة الإسلامية لتصحيحها.

٣- تعدد الزوجات:

عندما يقع الأفراد والناس في مشاكل خاصة أو عامة، فإن الله تعالى قد وضع في نظام التشريع الإسلامي قواعد شرعية تُنجي الأفراد والمجتمع. غير أن المصالح والمفاسد متباينة في الأهمية والخطورة. والأصل في الزواج أن يجمع بين رجل وامرأة، يتوجه كل منهما نحو رعاية الآخر وإسعاده. غير أن الله تعالى، وبواسع رحمته وعدله، لا يجعل الحلول مقتصرة على احتمال أو خيار واحد، بل

(١) الموسوعة اليهودية Jewish Encyclopedia.

وبسبب اختلاف الظروف لابد من حلول متعددة بعدد الحالات لاحتواء الأفراد واحتياجاتهم والحفاظ على الأسرة، وحمايتها من المفاسد. ومن النقاط الملتبسة ذات الإشكال حول التعدد ما يلي:

١- أن نظن خطأ أن قانون التعدد في ذاته ظالم مهين للمرأة، في حين أنه حل وضعه تعالى ليخفف المشاكل ويوجد للمرأة والرجل كليهما مخرجاً يكرم المرأة تماماً كما الرجل.

٢- أن نظن خطأ أن الخطأ يكمن في القوانين الإلهية، في حين أن إساءة البعض في التطبيق لا تجعل القانون خاطئاً، بل تجرّم من أساء التطبيق.

٣- أن نظن خطأ أن التعدد يصنع المشاكل، في حين أنه وجد ليحل المشاكل:

- مشاكل شخصية: مرض المرأة أو وجود موانع صحية تمنعها من الاستجابة للحاجة الجسدية عند الرجل بشكل ينغص الحياة وينذر بالمعصية.
- مشاكل مجتمعية: زيادة عدد الإناث (عازبات وأرامل ومطلقات) على عدد الذكور بسبب الموت في الحروب أو غيرها.

٤- أن نظن خطأ أن التعدد باب مفتوح للرجل بلا مسؤولية، في حين أن كل سلوك له نتائج وعليه مساءلة، وهذا ينطبق حتى على الزواج الأول، فهناك واجبات على الزوج وحقوق للزوجة عليه بنفس القدر سواء كانت الأولى أو الثانية، في الإنفاق والعاطفة والرعاية والوقت وكل شيء، فإن لم يعدل يُحاسب.

٥- أن نظن خطأ أن بإمكان أي إنسان، رجل أو امرأة، أن يؤذي سواه أو يستضعفه وينجو بفعلته دون حساب، في حين أن ميزان حساب الله تعالى يعمل على أدق من الذرة.

٦- أن نظن خطأ أن المرأة تملك الرجل وحدها أو أنه يملكها وحده، في حين أن كلاهما مملوك لله تعالى.

٧- أن نظن خطأ أن الصورة التي نراها عن الموضوع في الإعلام (في الأفلام والمسلسلات) واقعية، في حين أن الإعلام له أهدافه وليس بالضرورة واقعاً. ويصوّر الإعلام تعدد الزوجات كما يلي:

١). الزواج الثاني إهانة وخيانة للزوجة الأولى.

٢). الزوج رجل تجاوز الشباب ووصل للكهولة، عبدٌ شرهٌ للجنس وعينه على كل امرأة حوله.

٣). الزوجة الأولى كبيرة في السن، أفنت شبابها في أيام الفقر مع زوجها، ثم غدر بها.

٤). الزوجة الثانية شابة، رمت بشباكها على الزوج حتى تزوجها، ثم أقنعته بنسيان الزوجة الأولى.

٥). الزوجة الأولى تقول: لن أستطيع أن أغفر لزوجي "خيانته" بالزواج الثاني.

٦). مجتمع الزوجات يقول: ارتكاب الزوج للزنا أو القتل أهون وأرحم من أن يتزوج على زوجته.

٧). مجتمع الزوجات يقول: موت الزوج أهون علي من زواجه علي.

٨). الأولاد مظلومون ومنسيون من الأب، ويشاهدون ظلم الأب للأم بألم وصمت.

٩). الزوج لا يقف عند حد الزوجة الثانية، بل تعجبه فكرة الثالثة والرابعة لمجرد المتعة.

١٠). أول ما يفكر به الزوج بعد أن يغتني بالمال هو أن يبحث عن المتع الجسدية وما يسمى الخيانة.

أما في الغرب فنرى رفضاً قاطعاً للتعدد في الزواج، ونظرة دونية للإسلام بسبب إباحة تعدد الزوجات، ويستخدم ذلك الكثيرون لإثبات تحيّز الشرع الإسلامي إلى

جانب الرجل وتشجيعه على متابعة غرائزه في حين تُكبح المرأة وتُمنع من متابعة غرائزها بتعدد الرجال! ثم نرى على أرض الواقع في الغرب قبول للتعدد في الزواج غير الشرعي، أي بوجود علاقات الزنا بلا عدد ولا حصر، وذلك بناءً على أنه يجب إشباع غريزة الجنس بأي طريقة يتفق عليها الطرفان، بصرف النظر عن أية نتائج. ومن الأمثلة على هذا الانفتاح لحد الانفضاح الإحصاءات التالية:

* نسبة من قاموا بـ١٥ علاقة جنسية مع عدة أشخاص من عمر ١٥-٤٤ عام = ٨, ٢١٪ رجال، ٦, ١٠٪ نساء[١].
* العدد المثالي المتعارف عليه لعلاقات ما قبل الزواج: ١٢ في أمريكا، ١٩ في بريطانيا[٢].
* نسب تقبّل الأمريكيين لتعدد العلاقات الجنسية قبل الزواج[٣]: عام ٢٠٠٠ = النسبة ٤٢٪، عام ٢٠١٢ = ٥٨٪.
* ممارسة العلاقات الجنسية في أمريكا تبدأ مبكرة، حيث بينت دراسة على مجموعة كبيرة من المراهقين أن ٧٧٪ منهم كانوا قد جربوا الجنس خارج الزواج قبل عمر ٢٠ عام[٤].

---

(١) إحصاءات ٢٠١٥ في المركز الوطني للصحة National Center for Health Statistics جامعة إنديانا http://kinseyinstitute.org.

(٢) بناءً على أبحاث في مركز Illicit Encounters المتخصص في تيسير علاقات عاطفية خارج الزواج للمتزوجين، في أمريكا وبريطانيا.

(٣) دراسات أرشفة السلوك الجنسي في جامعة سان دييغو في مقارنة الفهم المجتمعي للسلوك الجنسي عبر الأجيال Archives of Sexual Behavior.

(٤) دراسات المركز الطبي الحكومي العام حول علاقات ما قبل الزواج في أمريكا.
Trends in Premarital Sex in the United States, PMC (nih.gov).

* تقبل الأمريكيين لزواج الشواذ جنسياً[١]: عام ١٩٩٠= ١٣٪ ثم عام ٢٠١٢= ٤٤٪ ثم عام ٢٠٢١= ٧٠٪[٢].

* نسبة ٢٥٪ من الأزواج الأمريكيين قاموا بعلاقات غير شرعية أثناء الزواج على الأقل مرة واحدة[٣].

* نسبة ١٧٪ من الزوجات الأمريكيات قمن بعلاقات غير شرعية أثناء الزواج على الأقل مرة في حياتهن[٤].

* نسبة الأزواج والزوجات الأمريكيين المعترفين بعلاقات غير شرعية مع أخ الزوج أو أخت الزوجة ١٧٪[٥].

* نسبة الأزواج والزوجات الأمريكيين المعترفين بعلاقات غير شرعية أثناء سفر العمل = ٣٥٪[٦].

---

(١) دراسات أرشفة السلوك الجنسي في جامعة سان دييغو في مقارنة الفهم المجتمعي للسلوك الجنسي عبر الأجيال Archives of Sexual Behavior.

(٢) دراسات سياسية بإشراف GallUp: Record-High ٧٠٪ in U.S. Support Same-Sex Marriage (gallup.com) الباحث JUSTIN MCCARTHY.

(٣) دراسة إحصائية نفسية في مركز أبحاث الرأي الوطني في جامعة شيكاغو National Opinion Research Center (NORC) حول السلوكيات المجتمعية
http://www.norc.org/Research/Projects/Pages/general-social-survey.

(٤) دراسة إحصائية نفسية في مركز أبحاث الرأي الوطني في جامعة شيكاغو National Opinion Research Center (NORC) حول السلوكيات المجتمعية.
http://www.norc.org/Research/Projects/Pages/general-social-survey.

(٥) إحصاءات مركز دراسات العقل الإحصائي في لوس آنجلس.
https://www.statisticbrain.com/infidelity-statistics.

(٦) إحصاءات مركز دراسات العقل الإحصائي في لوس آنجلس.
https://www.statisticbrain.com/infidelity-statistics.

* نسبة الأزواج الأمريكيين الموافقين على علاقة غير شرعية أثناء زواجهم (شرط السرية) = ٧٤٪[١].

* نسبة الزوجات الأمريكيات الموافقات على علاقة غير شرعية أثناء زواجهن (شرط السرية) = ٦٨٪[٢].

* نسبة ٢-٣ ٪ من أطفال أمريكا هم نتاج علاقات غير شرعية ويُنسبون إلى غير آبائهم دون معرفة الزوج[٣].

تثبت هذه الإحصاءات أنه وبصرف النظر عن الأسباب الدافعة للعلاقات، فإن الواقع يثبت أن إباحة تعدد الزوجات في التشريع الإسلامي تحمي الفرد والمجتمع من مشاكل اجتماعية عويصة وأمراض معقدة وتصونه بحلول منظمة قبل أن تتحول المشكلة الفردية إلى ظاهرة اجتماعية. ولعل المسلم المؤمن لا يحتاج إلى الكثير من الإحصاءات ليسلّم بأن التشريع الإسلامي لا يحمل إلا الخير والصواب وحلول المشاكل، فإن وجد في نفسه الحرج، فإنه يلجا إلى الله تعالى ليثبته، كمل لجأت أم سلمة إذ قالت للنبي: "إني غيرى" فقال: "أدعو الله فيذهب غيرتك". من يلجأ إلى الله يعينه ويقوّي إيمانه ويصوّبه ليهدأ القلب ويرضى.

٤- النشوز:

النشوز هو الارتفاع، والإنسان الناشز (رجلاً كان أو امرأة) هو المتعالي المترفع عن الحق، أي المتكبر المعاند المصرّ على ما لا يرضاه الله تعالى. وهذا يعني أنه إن تُرك على موقفه فإنه سيوصل الأسرة إلى كوارث بسبب إصراره على

(١) إحصاءات مركز دراسات العقل الإحصائي في لوس آنجلس.
https://www.statisticbrain.com/infidelity-statistics.

(٢) إحصاءات مركز دراسات العقل الإحصائي في لوس آنجلس.
https://www.statisticbrain.com/infidelity-statistics.

(٣) إحصاءات مركز دراسات العقل الإحصائي في لوس آنجلس.
https://www.statisticbrain.com/infidelity-statistics.

الباطل. والنشوز في الزواج ليس الاختلاف البسيط في الآراء الذي يمر به كل الأزواج بين الحين والآخر بسبب اختلاف الشخصيات والطباع، وإنما يُقصد به الخروج عما يُرضي الله تعالى والإصرار عليه.

وهنا يأتي التشريع الإسلامي بحلول منطقية عقلانية هادئة رافضة للعنف، في سبيل بذل كل الجهود والإمكانيات من أجل استقرار الأسرة، وليس فقط استمرارها. فهناك الكثير من الأسر في مجتمعنا التي هي مستمرة ولكن دون استقرار. وهذا لا يحقق هدف الزواج.

فالهدف من الزواج هو أن يستقر الإنسان نفسياً وجسدياً واجتماعياً ليتمكن من تحقيق هدفه الأساسي في الحياة: وهو معرفة الله تعالى والفوز برضاه ليحظى بأبدية طيبة ويعود للمنزل الأول الذي خرج منه في الماضي: الجنة، بجوار الله تعالى.

ولكي يعود المنزل إلى حال من الاستقرار لابد من بذل الجهد بكل الطرق لإعادة كل من يخطئ إلى جادة الصواب، وبالطرق التي تناسب طبيعته وخلقته. ولأن الله تعالى يعرف أن الرجل يختلف عن المرأة في الطبع والجسم وطريقة التفكير، فقد جعل لكل منهما طريقة مختلفة في الإعادة إلى جادة الصواب إن اخطأ، وذلك بالتدرج من أعلى الطرق إلى أدناها، فإن لم تنفع الأساليب رفيعة المستوى إنسانياً، ننتقل إلى الأدنى فالأدنى. ويأتي هذا التدرج على المراحل التالية:

أولاً: العقل:

الأسلوب العقلاني المنطقي:

الحوار والنقاش، الحوار يناسب الجميع، باعتبار أن الحوار الذكي يخاطب العقل فإن كان السامع عاقلاً استجاب.

مدمرات الحوار: وهي ما يقطع الحوار ويسبب الكثير من الخلافات.

١- رفع الصوت: وهذا يعني أن الغضب قد بدأ وبالتالي غاب العقل.

٢- الانسحاب من الحوار واليأس من التفاهم ويتجلّى بالمقاطعة.

٣- نقد الأشخاص وليس الأفعال: سلوكك سيئ وليس أنت سيئ.

٤- سوء التفسير لسلوك الآخر افتراض سوء النوايا.

ثانياً: النفسية:

الأسلوب النفسي:

الهجر الخاص: الأسلوب النفسي: الهجر الخاص، وهو يناسب المرأة المتعالية لأنه يخاطب تعاليها وأنوثتها.

ثالثاً: الجسد:

الأسلوب الجسدي:

الردع بالتخويف : الأسلوب الجسدي: الردع الزاجر: يناسب المرأة المتعالية لأنه يؤلم نفسيتها المتكبرة.

وهذه المراحل الثلاث على التسلسل بالترتيب الذي رتبه الله تعالى، فإن تحقق المطلوب وتراجع المخطئ المتعالي عن تكبّره، لا يعود هناك مبرر للمرحلة التالية وينتهي الموضوع عند هذا الحد. أما إن أصرّ، فننتقل للمرحلة التالية. وبسبب اختلاف الطبع بين الرجل والمرأة فإن التنفيذ لهذه المراحل الثلاث يأتي لكل منهما على النحو المذكور في الجدول التالي، علماً بوجود ملاحظات متعلقة بهذا الجدول:

١- النتائج المتوقعة:

المساواة التامة بين نشوز الرجل ونشوز المرأة غير منطقية ولا واقعية، لأن النتائج المتوقعة من ردود أفعال الرجل والمرأة تجاه أساليب تقويم الاعوجاج، فإذا أردنا النجاح، فعلينا أن نفكر في النتائج المتوقعة.

وكما يحدث في التعامل بين الناس، نلاحظ أن لكل إنسان "مفتاح" أي أسلوب يستجيب له إن استخدمناه، فهناك الإنسان ذو الطبيعة العاطفية والذي يستجيب إن تعاملنا معه بأسلوب عاطفي، وهناك العقلاني الذي يستجيب للدليل المنطقي، وهناك الإنسان الحساس الذي تكفيه النظرة والإشارة، والإنسان الواضح الذي يحب التصريح بالأمور، وإن أردنا النجاح مع أحدهم، فإنه لا يصلح إلا أن نستخدم الأسلوب الذي يستجيب له، ولا يصح أن نستخدم نفس الطريقة مع كل الناس على اختلاف طبائعهم وتفكيرهم. ولذلك لن ننجح إن استخدمنا نفس الأسلوب مع الرجل والمرأة على حد سواء، والحكيم هو من يفهم مفتاح التواصل مع الآخر ويستخدمه في الحق.

٢- أخطاء التنفيذ:

سنجد في مجتمعنا أخطاء في تنفيذ مراحل العلاج، خاصة في الطريقة ودرجة الحدة، فمن الرجال من يسيء استخدام الأسلوب النفسي (الذي يجب أن يكون خاصاً بين الزوج وزوجته لا يطّلع عليه أحد) فيقوم أمام الأبناء وغيرهم في الأسرة بهجران زوجته علناً مما يسبب رد فعل عكسي عندها، وكذلك من يسيء استخدام الأسلوب الجسدي، فيجور ويتعدى على الطريقة الموصوفة في السنة، وهي استخدام مسواك صغير مما لا يمكن أن يؤذي أو يؤلم جسدياً، وهناك من يضرب ليوجع وليُنفِّس عن الغضب وينتقم، وقد يضرب الوجه ليهين، فيكون بذلك آثماً فاشلاً في تحقيق التصويب المطلوب الذي من أجله وضعت مراحل الإصلاح هذه.

هذه الإساءات في التطبيق جميعها غير مقبولة شرعاً، ومسيئة ليس فقط للمرأة نفسها بل للإسلام كله، لأن إساءة استخدامها تُنسب للإسلام، غير أن هذا لا يعني خطأ الشرع الإسلامي الذي وضعه الله تعالى، فإن كان التطبيق خاطئاً فهذا لا يعني خطأ الشرع في التشريع، فالمُشرِع ليس مخطئاً بل الإنسان المُطبّق هو

المخطئ في التطبيق ولابد أن يحاسب على خطئه هذا. والمثال على ذلك هو أن من يصلي بشكل خاطئ فإن هذا لا يعني أن الصلاة كفرض يتم إلغاؤها، بل يجب أن يُعدّل هذا المصلّي صلاته لتصبح كما أمر الله تعالى.

المخطيء المتعالي:	المرأة	الرجل
المراحل الأولى للحل:	1- الأسلوب العقلاني: الحوار يناسب الجميع، باعتبار أن الحوار **الذكي** يخاطب العقل فإن كان السامع عاقلاً استجاب.	7. الأسلوب العقلاني: الحوار: يناسب الجميع، باعتبار أن الحوار **الذكي** يخاطب العقل فإن كان السامع عاقلاً استجاب.
	2- الأسلوب النفسي: الهجر الخاص: يناسب المرأة المتعالية لأنه يخاطب تعاليها وأنوثتها	2- الأسلوب النفسي: الهجر الخاص: لا يناسب الرجل المتعالي، لأن رغبته أشدّ، وقد تدفعه إلى ارتكاب معصية أكبر
	3- الأسلوب الجسدي: الردع الزاجر: يناسب المرأة المتعالية لأنه يؤلم نفسيتها المتكبرة	3- الأسلوب الجسدي: الردع الزاجر: لايناسب الرجل المتعالي، لأن قوته الجسدية أكبر، وقد تدفعه لعنف أكبر
	التحكيم	التحكيم
المرحلة النهائية:	قرار: الصبر أو الطلاق	قرار: الصبر أو الخلع

و أسوأ ما في الأمر:

١/ - أن نكون سبباً في تخريب سمعة الإسلام والشرع الإسلامي أمام الآخرين وأمام أنفسنا وفي عقائدنا داخل قلوبنا.

٢/ - أن يظن الرجل أن الله تعالى قد أعطاه حق استخدام قوته الجسدية ولن يحاسبه الله على استخدامها. هذه مشكلة في العقيدة، لأنها تعني الظن أن الله تعالى يغض الطرف عن الظلم والخروج عن الشرع محاباةً للرجل، حاشا لله عز وجل أن يكون ظالماً متحيزاً.

٣/ - أن تظن المرأة أن الله تعالى يمكن أن يشرّع قانوناً يبيح قهر مخلوق لمخلوق آخر ويُطلق يده عليه دون محاسبة، فتشك في عدل الله تعالى ومحبته لها كامرأة، ويصبح ذلك عقبة في مسيرتها نحو حبه تعالى

وكسب رضاه. فكيف يمكن أن تحب أحداً وأنت تظن أنه يُحابي أحداً عليك أو يقبل أن تُظلَم؟

من يدخل إلى أعماق قلوب بعض النساء اللاتي يتعرضن لضرب غير ما وصف النبي ﷺ، فإنه قد يجد أنهن يعانين من جدران بينهن وبين الله تعالى، جدران سميكة من العتب على الله تعالى عندما تظن إحداهن خطأ أن في تشريعاته ما يبيح قهرها وتعنيفها ويعين الآخرين على ظلمها جسدياً ونفسياً. بل ويزيد الشيطان الأمر في عقلها فتسخط دون أن تشعر، وتستقر في قرارة قلبها مرارة وألم، فلا تستمتع بصلاة ولا عبادة ولا دين ولا علم، وتبقى علاقتها بالله سطحية جوفاء فارغة، والسبب هو سوء الظن بالله تعالى وسوء فهم الإسلام وتشريعاته والذي تعلمته خطأ من خلال ممارسات مجتمعنا الخاطئة. ثم تنقل هذا الذي تعلمته لأطفالها لا شعورياً، فترى الطفل يكبر يضرب أخته والأم ترى ذلك طبيعياً، وتستمر السلسلة بلا انقطاع. إنها إساءة لأجيال.

أما الرجل، فعندما يضرب المرأة بغير الطريقة التي وصفها النبي ﷺ ، أي بالطريقة المحرّمة شرعاً بقوة أكثر من قوة مسواك وبضرب الوجه (حتى الدابة والطفل يحرم ضرب وجهيهما) والتقبيح اللفظي، فإنه يشعر في قرارة نفسه أنه عاجز عن التفاهم معها بالكلام والإقناع. هو عاجز عن قول أو فعل ما يمكن أن يحل المشكلة فيعبر بالغضب من خلال يده. وإن اعتاد ذلك فهو بذلك يؤذي نفسه كما يؤذيها لأنه يثبت لنفسه هذا العجز. كما أنه عندما يضربها ثم يعود فيحتاجها ويستخدمها كأداة جنسية كما وصف النبي ﷺ في حديثه: "أما يستحي أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد، يضربها أول النهار ثم يضاجعها آخره، أما يستحي؟" فإن من يفعل ذلك فإنما هو يجعل المرأة شيء وليس شخص، يجردها من إنسانيتها ويحوّلها إلى أداة للاستهلاك، وهذا التشييء سيعود على نفسيتها

بالتحطيم، وستتدمر العلاقة النفسية بينها وبين زوجها تماماً، ولعل هذا الزوج يكون غير شاعر بما يجول في داخلها، يعيش في عالم آخر، ثم يستيقظ ذات يوم ليجد أنها قد ألقت به خارج حياتها في أول فرصة سانحة، وهذا ما حصل لبعض العائلات التي هاجرت إلى دول أجنبية مكّنت المرأة من راتب شهري بشكل مستقل عن زوجها، فانتبهت الزوجة إلى أنها لم تعد بحاجة لهذا الكائن في حياتها فنبذته سريعاً. وهنا يندب الرجل حظه بل ويتهمها بعدم الإخلاص! إنه لا يرى في سلوكه أي خطأ ويلقي باللوم عليها في حين أنه هو من أوصلها لتشعر أن الرباط الوحيد بينهما هو حاجتها للمال، فإن توفر المال لم يعد لصبرها داعٍ!

لكن الحل يكمن في:

* أن نتعلم الشرع ونفهم مقاصده، رجالاً ونساءً، ونطبق ما نتعلمه،
* أن نثق بالله ونوقن أنه تعالى منزّه عن كل صفات النقص التي يمكن أن نتخيلها، خاصة الظلم،
* أن نذكر أنفسنا دوماً أن كل ظلم نراه إنما هو إساءة من قبل الإنسان بذاته لا من الشرع "والشر ليس إليك"، وهي لن تمرّ مرور الكرام وتُنسى، بل الحساب على أدق من الذرة، والله للظالمين بالمرصاد.
* رسول الله ﷺ تعامل مع مشاكل زوجاته بالعقل والمحبة، لا بالعنف والقوة، ومن يدعي انتسابه للنبي ﷺ فإنه إما أن يفعل فعله: "ما ضرب رسول الله ﷺ امرأة له ولا خادماً قط"، أو فليعلن خروجه عنه.

وكما سلف ففي الغرب، تُبنى الحقوق الاجتماعية للمرأة على قوانين وضعية، وضعها البشر من عندهم، وهي بذلك تحتمل الخطأ وتحتمل الصواب. والواقع المشاهد أن الخطأ فيها أكثر من الصواب، لأن واضع القوانين لا يملك سوى قدرته البشرية على معرفة الأحداث دون معرفة نتائجها على مر الزمن وفي

المجتمعات المختلفة. وبالتالي، لا يوجد في الغرب تنظيم أو ترتيب للطريقة التي يمكن من خلالها التعامل مع الشخص الناشز المتعالي سواء كان الزوج أو الزوجة، بناء على خطأ أحدهما في حق الآخر، لا في حق الله تعالى وشرعه. فالنشوز أساساً مبني على أن قاعدة أن القوامة للرجل في بيت أسرته، ورفض هذه القاعدة يعني أنه لا يوجد قائد محدد لفريق الأسرة هذه، وبالتالي يمكن لكل إنسان أن يتعالى على الآخر إلى أن يُثبت أحقيته في القيادة. ولعل هذا القانون أشبه بما يحصل بين الوحوش في الغابة إذ يتصارعون حتى تُثبت قوة الجسد جدارة قيادة "القطيع". وبما أن قوة جسد الرجل أكبر من جسد الأنثى، فإننا نرى الإحصائيات تتحدث كما يلي عن ضحايا العنف المنزلي في أمريكا[1]:

- توجد ٢٠ حالة إساءة جسدية في كل دقيقة واحدة، أي أكثر من ١٠ ملايين حالة سنوياً.
- ١ من كل ٣ نساء هي ضحية إساءة جسدية على يد شريك الحياة.
- ١ من كل ٤ نساء هي ضحية عنف جسدي شديد على يد شريك الحياة.
- يومياً توجد ٢٠,٠٠٠ مكالمة هاتفية على الخط الساخن تبلّغ عن عنف أسري.
- نسبة ١٥٪ من الجرائم العنيفة هي جرائم عنف منزلي على يد شريك الحياة.

والإحصائيات لا تختلف كثيراً في دول غربية أخرى:

- خلال عام ٢٠١٧، تم الإبلاغ عن ١,١ مليون حالة عنف منزلي في بريطانيا، ٤٦٪ منها وصلت إلى جرائم، وحوالي ٧٠٪ من ضحايا جرائم القتل الناجم عن العنف المنزلي في بريطانيا هي نساء[2].

---

(١) الإحصاءات الدورية في مركز التحالف الوطني ضد العنف المنزلي في أمريكا National Coalition against Domestic Violence المتخصص في مكافحة العنف المنزلي ومعالجة ضحاياه. https://ncadv.org/statistics

(٢) المكتب الوطني للإحصاء في بريطانيا: https://www.ons.gov.uk.

- خلال عام ٢٠١٥، تم الإبلاغ عن حوالي ١٣٠,٠٠٠ حالة عنف منزلي في برلين، ألمانيا، وصلت إلى الاعتداء الجنسي أو الضرب المبرّح أو القتل، و٩٠٪ من الضحايا نساء[١].
- نسبة العنف المنزلي على يد شريك الحياة في بلجيكا ٢٤٪[٢].

الهدف من هذه الإحصائيات ليس التشهير ولا الإدعاء أن بلادنا العربية خالية من هذه الأمراض، بل إن بلادنا فيها ما يشبه هذه الأمراض المجتمعية مع اختلاف السياق وحدة التنفيذ، ولكن الهدف هو أن نثبت أن الإنسان عندما يبتعد عن شرع الله وقانونه، فمن الطبيعي أن يحصل على النتيجة الطبيعية في الفشل والكوارث التي قد لا يمكن إصلاحها إطلاقاً، حتى لو كان هذا الإنسان مسلماً. فالخطأ خطأ حتى وإن بدر من عربي مسلم.

٥- الطلاق:

تعريف الطلاق: هو الحل الأخير لمشاكلٍ بين الزوجين لم ينفع فيها أي حل آخر ، أي عندما لا يعود من الخير بقائهما معاً وبات الخير هو في الانفصال، ويجب أن يُتخذ هذا القرار بعد تفكير وليس أثناء الغضب الذي يعمي عقل الإنسان، فكيف يمكن لمن لا يملك عقلَه (بسبب الغضب أو لأي سبب آخر) أن يقرر قراراً مصيرياً كهذا؟

وليس قول كلمة الطلاق عند الغضب إثبات رجولة، بل إن تجنبه عند الغضب هو القوة والرجولة، فالقوي الشديد كما قال رسول الله ﷺ هو من يملك نفسه عند الغضب. فالطلاق يجب أن يكون حلاً نهائياً لوضعٍ يتفق الطرفان على

(١) التقرير الدوري للشرطة الجنائية الفيدرالية الألمانية بالتعاون مع وزارة شؤون الأسرة الألمانية http://www.dw.com/en/domestic-violence.

(٢) إحصاءات قاعدة البيانات في الأمم المتحدة.
http://evaw-global-database.unwomen.org/en/countries/europe/belgium.

أنه غير محتمل وأن كافة طرق الإصلاح الأخرى لم تنجح في استقرار هذه الأسرة، فيصبح الاستقرار هو في الانفصال، كما يقول تعالى: "ويغني الله كلاً من سعته"، ويعيش كلٌ منهما حياة أفضل من ذي قبل. فالطلاق لا يعني بالضرورة أن أحدهما أو كلاهما إنسان سيء، بل ربما يكون كلاهما خيّر، لكن وجودهما مع بعض في هذا الزواج غير ممكن لهما، وبالتالي فإنه يصبح جحيماً لهما وللأولاد.

في هذه الحالات، لا يُنصح باستمرار الزواج مادام يهدد استقرار الأفراد الصحي وسواءهم النفسي، فهذا التهديد للسواء النفسي سيمنع المرء حتماً من التمكّن من تحقيق هدف حياته في معرفة الله تعالى والتقرّب منه، وهذا هو أهم ما في الحياة.

نعود إلى الهدف الأساسي من الزواج، وهو تأمين البيئة التي تعود على الإنسان بالسكينة والطمأنينة حتى يتفرّغ فكرياً ونفسياً لأداء هدف حياته، فالزواج بحد ذاته ليس هدفاً لابد من الحفاظ عليه بأي ثمن، لا، بل هو وسيلة إلى هدف، فإن تحوّلت الوسيلة إلى عائق يمنع تحقيق الهدف، فلا يصح أن نسمح أن يضيع هدف العمر بضياع الوسيلة.

من المعايير التي يمكن استخدامها لقياس فعالية ونجاح الزواج: إن تأكد الزوج أو تأكدتِ الزوجة أن هذا الزواج عائق على طريق المسير إلى الله تعالى وهو بالتالي سيُذهب حياة المرء هدراً في نكد وضيق وعجز عن أداء ما خُلقنا لأجله، فالخروج من هذا العائق أفضل بلا شك، ولكن نؤكد على كلمة "التأكّد"، والذي هو ما ورد في حديث المرأة التي أتت رسول الله ﷺ تطلب الطلاق من زوجها لأنها "تكره الكفر بعد الإيمان" أي أنها تأكدت أنها إن بقيت في هذا الزواج فلن تتمكن من أداء حقه حتى أنها ستصل إلى ما أسمته كفراً. والتأكد من ذلك أساسي كي لا تدخل المرأة والرجل كلاهما ضمن حديث النبي ﷺ الذي يحذر

فيه من الطلاق دونما سبب كافٍ إذ يقول: "أيّما امرأة طلبت من زوجها الطلاق دونما عذر فحرام عليها رائحة الجنة"، وأعتقد شخصياً أن الأمر ينطبق على الرجل أيضاً إذا ما طلّق زوجته ظلماً ودونما سبب فتشردت الأسرة بلا داعٍ شرعي يجيب به الله تعالى عندما يسأله يوم القيامة.

يقول بعض العلماء أن علامة الطلاق الشرعي الذي يتم على النحو الذي شُرِّع من أجله هي ألا يتراجع المرء بعد تنفيذه، لأن التراجع يعني أنه لم يدرس القرار بشكل كافٍ بل اتخذه انفعالياً، وبالتالي فقد أخطأ القرار، لم يحلّ إشكالاً بل أنشأ مشاكل جديدة بتطبيقه الجائر.

ويقولون أيضاً أنه لكي لا يكون الطلاق ظالماً لابد ممن يريد الطلاق أن يستشير ثلاثة من ذوي العقول والدين ممن يعرفون الزوج والزوجة، فإن اجتمع الثلاثة على ضرورة الطلاق فليكن، وطالب الطلاق في هذه الحالة مأجور، لأنه يكون كما أسلفنا عوناً له على تحقيق هدف حياته. أما ما نسمعه من أشخاص يعودون بعد أيام من طلاقهم يبحثون عمن يعطيهم فتوى لاستعادة الزواج المفقود فهو طلاق هروب مما يُعاقب فاعله. بل لقد رأيتُ شخصياً ضمن عملي في الإصلاح الأسري العديد من الأزواج والزوجات يُشك في صحة زواجهم، فهو زواج منتهي الصلاحية من كثرة استخدام الرجل لكلمة الطلاق عشرات المرات، بل وما يزالون يعيشون تحت سقف واحد يظنون أنهم مازالوا متزوجين! يقول لزوجته: إن ذهبتِ إلى ذلك المكان فأنت طالق (ثم تذهب إلى ذلك المكان!) ، إن تحدثتِ إلى فلانة فأنت طالق (ثم تتحدث إلى فلانة تلك وبمعرفته!) ، إن قلتِ كذا فأنتِ طالق (ثم تفعل..!)، ثم يبحثون عن إفتاء يحلل زواجهم. هذا تشويه للصورة الصحيحة للطلاق واستهتار بالمسؤولية وتهور بشرع الله تعالى ومكانة المرأة، بل مكانة الأسرة كلها.

في الغرب المجتمع لا يكلّف الرجل بمهر ولا نفقة ولا التزام بمسؤولية أسرته سوى وفق ما تمليه عليه شخصيته ونفسيته ومزاجه، وإذا أراد سوء السلوك بأي شكل فإنه لا رادع سوى القانون القضائي، والذي لا يمكن أن يحكم السلوك الشخص والتصرفات اليومية داخل المنزل، فالمرأة في الغرب لا تملك الحقوق التي سبق أن أشرنا إليها في الجلسة الثالثة، ولذلك فإنه لا يوجد ما يجبر الزوج على إعطاءها أياً من هذه الحقوق.

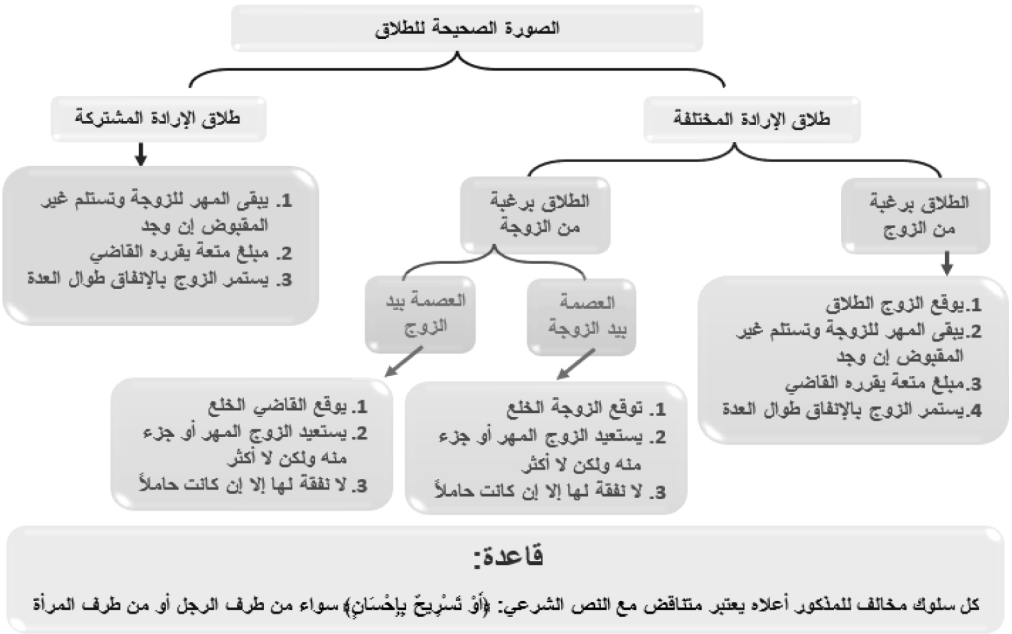

ولكي تقوم الأنظمة الغربية في أمريكا بإصلاح هذا الخلل، قامت بوضع قانون يمنح المرأة نصف ممتلكات الزوج إن رغب في طلاقها. غير أن تنفيذ هذا القانون على أرض الواقع لا يتم إذا ما فارق الزوج زوجته وخرج ولم يعد، أي دون طلاق معلن، فيضيع حقها في نصف ماله، وتبقى مع أطفالها دون معيل. وتُظهر إحصاءات ضرب النساء، سواء كانت زوجة الرجل او صديقته، أن ضياع حق الزوجة هو الاحتمال الأعظم في ظل تلك الأنظمة، التي يريد واضعوها أن يقوموا بتجربة كل نظام محتمل ما عدا الاعتراف بالنظام الإلهي.

٦- الحجاب:

الحجاب هو ستر المرأة لكل جسمها عدا الوجه والكفين بلباس فضفاض لا يصف ولا يشف. الحجاب إخفاء المرأة لزينتها، أي إخفاء المكياج والعطر والخلاخيل وكافة الإكسسوارات عدا ما يُحتاج لإظهاره كخاتم الزواج والساعة وكحل الاستطباب.

هل هناك شكل معين للحجاب؟

من السنة أن يتبع الإنسان اللباس السائد في البلد الذي هو فيه، مادام هذا اللباس لا يتعارض مع الشرع. هذا يعني أنه لا يشترط لبس البالطو أو العباءة أو غيرها، فهي ألبسة تقليدية متعلقة بأعرف البلدان. أما الشرع فيطلب اللباس الفضفاض بصرف النظر عن الشكل واللون والموديل.

هذا يُخرِج الملابس الضيقة من دائرة الشكل المقبول للحجاب، سواء كانت للجزء العلوي من الجسم أو السفلي، فالهدف هو عدم إظهار تقاطيع الجسد وهذا لا يتحقق بالبلوز الرقيق ولا بالملاصق للجسم يُظهر الشكل ، ولا بالبنطال الضيق المنتشر الذي يبدو وكأن صاحبته تقول: "انظروا إلى مؤخرتي وساقيّ (!) أنا متحجبة لكني سأظهر عيّنة من جمال جسدي لتروه وتحدقوا بي ولا أمانع أن تسرحوا بخيالكم مع جسدي الجميل!"

ما يحصل عملياً هو أن هذه الفتاة تُرضي رغبة شريحة من الشباب والرجال الذين لا يملكون التقى الذي لابد لكل فتاة أن تطلبه في زوج المستقبل لتطمئن في حياتها معه، فهذا الذي أشبع عيونه منها اليوم سيشبع عيونه من غيرها غداً ولن تستطيع إيقافه لأنه لا يملك التقى الذي يجعله يغض البصر، فهو أصلاً اختيار خاطئ للرجل الخاطئ مبني على فتاة عرضت جمال جسدها (وهي في حجابها!) فاستقطبت النوع السيئ من الرجال الذي لن يريحها مستقبلاً. والشاب التقي لن

ولا يجب أن يختار كهذه الفتاة زوجة كريمة لنفسه وأماً مربّية لأولاده وبناته، ولا يجب أن تخدعه الرغبة بها وسيندم مستقبلاً عندما يكتشف أن ضعف تقواها يدل على أن حب الله ومخافته في قلبها أقل بكثير من أن تتعامل معه بفهم ووعي وضمير وحُسن خلق لتحقق زواجاً مستقراً، فيقضي العمر نادماً بعد أن ينجب منها ويصبح الانفصال صعباً جداً.

هل هناك لون معين للحجاب؟

لم يرد عن النبي ﷺ أنه حدد لوناً معيناً لحجاب النساء، بل ترك أمر الزي واللون لهن. ونستنتج من ذلك أن مسألة زي الحجاب ولونه لا تتضمن ما هو صحيح وما هو خاطئ، فالكل صحيح وفق قانون أن الحجاب: "لا يصف ولا يشف وليس لباس الشهرة"، وبالتالي لا تفاضل بين الناس وفق ألوان وأشكال ما يلبسون، طالما أنه يحقق الشرط الشرعي المذكور.

وبناءً عليه، لا يصح أن نقسّم المسلمات وفق ألوان ما يرتدينه، وليس من الأسلوب النبوي أن يميّز الناس بمستويات وفق ألوان ملابسهم. فهذا التمييز يقسّم المسلمين إلى جماعات ويفرّق بينهم بدل أن يجمعهم ويوحّدهم ويدمجهم ببعضهم، ولا أفضلية إلا بالتقوى. الإسلام واحد ويجب أن يبقى واحد غير مقسّم إلى جماعات ومجموعات تابعة لفلان أو لفلانة، مجموعة تابعة لهذا المسجد أو ذاك، مجموعة تابعة لهذا المعلم أو ذاك، فطالب العلم لا ينتمي لأحد سوى الله تعالى ورسوله، ويجب أن يأخذ العلوم المختلفة من أشخاص مختلفين فلا يلتصق بأحدهم ويترك غيره، لأن هذا المعلم او ذاك لايمكن أن يحوز كل العلم، بل يجب التنويع من أجل تعلّم المزيد من كل علم على يد المتخصصين من العلماء، فالصحابة والتابعين ومن بعدهم كانوا يبتغون علم التفسرين عند أحد المتخصصين بالتفسير ويبتغون علم الحديث عند أحد المحدّثين، ويبتغون التزكية

عند أحد المعروفين بإتقان ذلك وهكذا. وهذا ليس انتقاص من المعلم الأول ويجب أن يتقبّل ذلك مادامت نيته هي تقديم العلم الذي أكرمه الله تعالى به وليس تجميع الناس حوله. هدف التعليم هو إرضاء الله وليس الناس، وكذلك كان منهج النبي ﷺ أن يبلّغ ثم يترك الناس تفكر وتقرر اعتناق الإسلام، ثم إن أقبلوا يحوّلهم على من يعلمهم القرآن الكريم والصلاة والصيام وأحكام الدين، دون أن يميّزهم بلون ما! وقد امتدح القرآن الكريم أولئك الذين يسمعون عدة جهات ثم يفكرون ويأخذون بأفضلها قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر ١٨) وتفسيرها: الذين يستمعون القرآن الكريم وأقوال الرسول ﷺ فيتبعون مُحكمه فيعملون به.

ولعل الأمر يصبح أوضح عندما نتحدث إلى المسلمين الجدد الأجانب الذين يستغربون مفهوم التفاضل بالألوان، وهو مفهوم غريب على الإسلام ولا أساس شرعي له. فلا الخمار الأزرق أعلى درجة من الأبيض، ولا الأسود خير من الرمادي، ولا الرداء (البالطو) الكحلي أفضل من الأزرق. الكل سواسية ولا دليل شرعي على التفاضل بالألوان، بل هي أعراف تتغير بالمكان والزمان. وأذكر أن فتاة يابانية أسلمت في دمشق، ثم أتت تسألني عن تلك الألوان وأنها تشعر بالذنب لأنها ما زالت تلبس الخمار الأبيض كما قيل لها! وكان لابد أن أجيبها صراحة أنه لا أساس شرعي لذلك.

الحجاب فرض بل حق للمرأة لا يحق لأحد حرمانها منه، حق المرأة في أن تُحترم، وحقها في وضع حاجز حماية صريح يفصلها عن غيرها من فتيات قد يستجبن للعابثين، وذلك بناء على أن التفاضل بالتقوى، والحجاب الصحيح دليل التقوى، فيميّزها ذلك وينصرف عنها الرجل العابث: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ﴾.

عندما تتعمق المرأة في شعورها تجاه الله تعالى واقتناعها بأن الله لا يحرمها إلا ما فيه الضرر لها، فستفهم الحجاب وتدرك شعورها به وتجده جزءً منها ومن حقوقها التي تدافع عنها إن حُرمت منها، وهذه المشاعر والأفكار لا تفهمها سوى المرأة، وهي الأسباب التي من أجلها شرعه الله تعالى. فالمرأة بطبيعتها تميل إلى الحياء ولذلك جعلها الله تعالى مطلوبة لا طالبة، وجعل في طبيعتها التمنّع لا العرض، ولأن الله خلقها تحب إبداء جمالها وزينتها، فقد نظّم لها خالقها ذلك كي لا تدخل في مشاكل تُرهق قلبها الرقيق بتجارب مع من يريد استغلالها وليس إسعادها، وأكثر من يدرك ذلك ويندم على ما فات هي الفتيات اللاتي تعرضن لعبث العابثين واكتشفن أن الحجاب الصحيح كان سيردّ عنها هذا وذاك وسيعلن أنها ممن يبحثن عن السعادة بشكل جدّي لا يحتمل التلاعب ولا الغش وليست من المستجيبات للعبث الراغبات بالتسلية فقط.

من العجيب أن بعض النساء الأجنبيات غير المسلمات جرّبن الحجاب والتزمن به قبل إسلامهن لشدة ما شعرن بأنهن محميّات ومتمتعات بحرية أكبر، خاصة أن نظرات الرجال لهن باتت أكثر احتراماً وأكثر تركيزاً على ما تقوله من كلام بدل مظهرها. وهذه شهادات من بعضهن عن شعورهن تجاه الحجاب بعد أن ارتدينه، إما بعد الإسلام أو قبله[1]:

* امرأة من بريطانيا: أشعر أنني متواضعة لله، وأنني قوية مُعززة، محترمة، محبوبة، وهناك من يرعاني. الناس يركزون على من أنا حقيقة وليس كيف أبدو. هل يؤذيك بعض الناس (في الغرب) بسبب حجابك؟ نعم، البعض يواجهونني بالشتائم في الشارع ويلومونني على جرائم لا دخل لي بها. لكن لا يهم.

(١) من موقع: https://www.facebook.com/notes/i-am-a-muslima/wearing-the-hijab-personal-testimony-from-muslim-women/٢٩٧٢٦٣٩١٢١٥٢/

* امرأة من البوسنة: عمري ٢٥ عاماً. بدأت بأداء الصلاة الإسلامية لفترة ولم أكن قد وضعت الحجاب بعد، ثم فجأة شعرت وكأني أتعرى كلما خلعت ثوب الصلاة. ذهبت للتسوق مرة مع أخت زوجي، وظللت طوال الوقت أشعر أن الناس يحدقون فيّ وأنني مرتبكة دون الحجاب وأشتاق إليه. وفي ذات المساء قررت أن ارتديه. انتقلت أخباري للعائلة مباشرة وظلوا يسألونني هل أنا بخير! لكني كنت بمنتهى الهدوء النفسي والرضا. ومنذ اليوم الأول، أحسست باختلاف في تعامل المجتمع معي. الرجال لم يعودوا يحدّقون بي، بل أصبحوا يتقدمون نحوي باحترام غريب، وأصبحت التعليقات الجنسية المزعجة التي كانوا يسمعونني إياها يومياً في الشارع نادرة، بل معدومة. والآن أنا أشعر بسعادة كبيرة وحرية. أشعر أنني أكثر طهارة، وأن الناس ينظرون إلي كإنسانة وليس مجرد "لحم". شعور مذهل أن أشعر أن الناس يتكلمون معي من أجلي أنا، لا من أجل متعتهم هم.

* امرأة لم يحدد موطنها: ارتديتُ الحجاب بعد أسبوعين من أداء شهادة الإسلام. والآن ارتدي النقاب فأشعر بالكثير من الحرية والأنوثة، شعرت بسعادة كبيرة وأنني في حماية من نظرات غير نظيفة من بعض الرجال. هذا هو خياري الشخصي وقد اشترطت على خطيبي أن أحافظ عليه بعد الزواج.

* امرأة من أمريكا: أنا ارتدي الحجاب والنقاب، وقد بدأت بارتداء الحجاب قبل إسلامي، ووقتها شعرت أنني حرة نفسي وأنني آمنة وأستطيع أن أتحرك كما أشاء دون أن أخشى نظرات الناس إلى جسدي. والآن مرّ عليّ اثنتا عشرة سنة مع ارتداء النقاب، وأشعر أنني صادقة مع نفسي في ضميري ومع الناس. أعرف أن الحجاب فرض أما النقاب فهو ليس فرضاً، لكني أشعر بالحماية خلفه.

* امرأة من بريطانيا: عمري ١٩ عاماً، وعندما بدأت بلبس الحجاب شعرت أني أصبحت متكاملة. الحجاب رد إليّ شعوري بالحرية وأطلق الإنسانة الحقيقية التي بداخلي. ليتني عرفته باكراً في حياتي، والان أقول لجميع الفتيات: إذا أذاك الناس بسبب حجابك، تذكري أنك ترتدينه لطاعة الله وحماية ذاتك من كل أذى محتمل، هذا ما أعطانيه الحجاب.

* امرأة من كولومبيا[١]: حجابي هو أكثر ما يعطيني القوة في ملابسي. حجابي يخبر العالم أني مسلمة وأني أؤمن بالله وأني أتبع النبي محمد ﷺ، وهذا يجعلني أريد متابعة طريقي نحو الجنة. حجابي هو تاجي، خوذتي الجميلة، جوهرتي على جبيني. حجابي ليس ما ألبس، بل هو من أنا.

ولعل من أجمل ما تقوم به المرأة هو أن تساعد الرجال من حولها (وهم جميعاً إخوانها في الإسلام وفي الإنسانية) على ألا تُثار غرائزهم وأن تمكّنهم من تنفيذ أمر الله تعالى في غض البصر والانضباط، وأن ينظروا إليها ويتعاونوا معها كإنسانة ذات شخصية وفكر وإمكانيات علمية وثقافية وقدرات اجتماعية، وليست منظراً جميلاً للمتعة.

أما في الغرب، فقبل أحداث التاسع من سبتمبر عام ٢٠٠١ ، كان الناس في الشارع الغربي ينظرون للحجاب بشكل فضولي ولكن محايد ودون عداء. ثم من ذلك التاريخ بدأ الهجوم العالمي المُعلن ضد الإسلام وأصبح الحجاب مخيفاً للغرب وشعاراً للإرهاب، زوراً وبهتاناً. وكثيراً ما صرنا نسمع بما يشبه الحادثة التالية التي ترويها امرأة من الريف الأمريكي: "أنا من أسرة مسيحية متدينة، وطالما كنت محتشمة في لباسي. كنت أعمل في اتحاد الطلبة في الجامعة، وبعد إسلامي وارتدائي الحجاب تعرضت للأخطار في ذهابي وإيابي للجامعة، كان البعض

(١) من موقع: https://worldhijabday.com/hijab-empowering-garment/.

يرمون علي البيض والأحجار وقطع الزجاج أحياناً. بعض الناس كانوا يلوّحون بقبضاتهم مهددين، وفي مرة صاح بي أحدهم أن أعود من حيث أتيت، يظنني غير أمريكية. فاتجهت إليه وصحت بأني أمريكية أكثر منه"[1].

كما أصبحت مؤسسات الموضة والأزياء العالمية تشعر بالتهديد من جراء انتشار الحجاب، وذلك لكونها متقلبة متغيرة تحاول بأقصى جهد أن تتلاعب بالمرأة وتوجهها نحو إضاعة أهداف حياتها الحقيقية وتنشغل بالبحث عن تجميل الجسد ورضا الناس عموماً ولفت أنظار الرجال خصوصاً، إلى شكلها ومظهرها الخارجي دون الاهتمام للمضمون ولا إنسانية المرأة. وأمام هذه الجهود لن تتمكن المرأة من النجاة بنفسها وحياتها سوى من خلال صدق الالتجاء لله وطاعته والالتزام بالتشريعات الإسلامية. حفظ الله نساء الأمة من كل زيغ وضلال، ومن كل أمراض القلوب وضياع الروح.

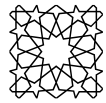

(١) من موقع: https://www.facebook.com/notes/i-am-a-muslima/wearing-the-hijab-personal-testimony-from-muslim-women/٢٩٧٢٦٣٩١٢١٥٢/.

الفصل السابع

فهم خاطئ للأحاديث والتشريعات المتعلقة بالمرأة

هناك مشاكل فهم خاطئ لبعض الآيات في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالمرأة، وهذا الفهم يُنتج سلوكيات مؤذية لكل من الرجل والمرأة على حد السواء، تماماً كما أن سوء فهم بعض العبادات ينتج سلوكيات خاطئة في تطبيقها، فنرى من يصلي ويأكل مال إخوته أو يحج ويكذب، وهذا لأنه لم يفهم العبادة بالشكل الصحيح الذي يجعله ينتهي عن فعل ما يُغضب الله تعالى.

والمشكلة الأعظم في نتائج الفهم والتطبيق الخاطئ في النصوص المتعلقة بالعدل ومنع الظلم هي في تأثير ذلك على العقيدة عندما تختل نظرة الإنسان إلى عدل الله تعالى ويظن أن الله تعالى قد يسمح بالظلم، فيضعف حبل المودة بين العبد وربه، وقد ينقطع، لأن العلاقة لا يمكن أن تظل طيبة صافية مع من نظن أنه يظلمنا أو يقسو علينا لصالح شخص آخر. فإن شعرت المرأة أن شرع الله ضدها أو يسمح بظلمها أو إهانتها أو لا يعطيها حقها سواسية مع الرجل، فكيف سيكون حبها لله صافياً وكيف سيقتنع عقلها بأسمائه الحسنى وكمال صفاته العلية؟

إن من يقول بظلم من هذا النوع إو انتقاص من إنسانية المرأة أو أي إنسان بناءً على نوعه أو لونه أو عرقه ثم يبرر ذلك بأن الإسلام يوافق عليه فهو يشكّك الناس بالله بل يُفسد عليهم عقيدتهم وإيمانهم بكمال عدل الله وحكمته وصفاته.

ولكي نصحح هذا الوضع لابد من العلم والتفكّر العميق بمعاني الآيات الكريمة والأحاديث التي هي مصادر الشريعة الإسلامية لنفهمها بشكل صحيح، كما أرادها الله تعالى ورسوله ﷺ، منها ما يلي:

١. الآية الكريمة الأولى:

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ (آل عمران ٣٦).

تتحدث الآية عن ميلاد السيدة مريم بعد أن نذرت والدتها، امرأة عمران، جنينها ليخدم في المعبد اليهودي. ونرى هذا الموقف في تفسير الطبري إذ يقول أن العبارة المذكورة جاءت على لسان امرأة عمران (وليس تقريراً من الله تعالى) التي وجّهت دعاءها لله تعالى تستفهم بسبب الوضع الذي كانت عليه المرأة في المجتمعات اليهودية آنذاك، حيث أن الذكر أقدر على خدمة المعبد من الأنثى، فالخدمة تعني أن يُحرر الغلام للمعبد فيبقى فيه يكنسه وينظفه ولايبرحه، والفتاة لا تقدر على ذلك دوماً لأن ما يصيبها من الحيض يعتبر في التعاليم اليهودية نجس وأذى يمنعها من دخول المعبد، كما لا ينبغي للمرأة اليهودية أن تكون مع الرجال، ولذلك كان الناس يحرّرون الغلمان لا الفتيات. ولذلك قلقت امرأة عمران من إنجابها للأنثى، غير أنه الله تعالى أجابها بقبولها وجعلها استثناء للإناث فتدخل المعبد وتنظفه دون حرج: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ﴾ (آل عمران ٣٧)، وجعل كفيلها وراعيها النبي زكريا ﷺ. هذا يعني أن علة قلق الأم هي عدم تماثل الذكر والأنثى في التأهيل لخدمة المعبد ولا صلة لها بالتقليل من شأن المرأة.

كما أن دليل تماثل القيمة الإنسانية هي في قوله تعالى: "الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها"، فهل هذا يعني أن الجزء أقل فضلاً من الكل؟ كلا وبالتأكيد، هذا لا يعني التبعية والنقص، وإلا لكان النبي ﷺ (وهو قد خُلق كما الخلق كلهم من آدم) لكان أنقص من آدم وهذا ليس بصحيح بل هو ﷺ أفضل من آدم عند الله تعالى. وكذلك أبيه المباشر ﷺ وأمه، هو خُلق من أمه

وليس تابعاً لها أو أنقص منها، وكذلك كل إنسان خلق من أمه وقد يكون أفضل منها، فالجزء ليس أفضل من الكل.

٢. الآية الكريمة الثانية:

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة ٢٢٨).

هذه آية اختلف فيها المفسرون، ونرى في تفسير الطبري أن البعض قال أن هذه الدرجة هي القوامة والإمرة والطاعة، وقال ابن عباس: "ما أحب أن أستنظف جميع حقي عليها فالدرجة التي ذكر الله تعالى في هذا الموضع هي لصفحٍ من الرجل لامرأته عن بعض الواجب عليها وإغضاؤه لها عنه وأداء كل الواجب لها عليه". فمعنى الآية هو أن على الرجل أن يترك ضرار زوجته (في مراجعته إياها في أقرائها الثلاثة وفي غير ذلك) وعليه أن يؤدي حقوقها عليه تماماً كما أن عليها أن تترك الإضرار به (كإخفائها ما خلق الله في رحمها وحقوقه الأخرى)، ثم ندب الرجال إلى الأخذ عليهن بالفضل بأنه إذا تركن أداء بعض ما أوجب الله عليهن، فدرجة الرجال هي درجة التغافل والمسامحة والصفح عن بعض حقهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ﴾ (النور ٢٢)، وهذا من ضرورات الفضل، فالمقصود هو بيان تعادل حقوق الرجل مع حقوق المرأة ثم أتبع ذلك بندب الرجال إلى فضيلة من فضائل الرجولة وهي أن يتغاضى عن بعض حقوقه، فالدرجة هي التغاضي بسبب فضيلة الولاية، فالوالي من الأولى به أن يكون أحلم الناس وأصفحهم ومسامحة للناس في حقوقه كما قد قيل: سيد قومه المتغابي. فالدرجة هي درجة تحمّل الرجل ومسامحته لزوجته إن قصرت في واجباتها تجاهه، كونه هو القائد الذي يحتوي الأسرة والقوام عليها.

٣. الحديث الشريف الأول:

عن أبي سعيد الخدري: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال "يا مَعْشرَ النساء تَصَدَّقْنَ (افعلن الخير بكل أنواعه) وأَكْثِرْن الاستغفار فإني رأيتكُنَّ أكثر أهل النار"، فقالت امرأة منهن جَزْلة: وما لنا يا رسول الله أكثرُ أهل النار؟ قال: "تُكْثِرْنَ اللَّعن وتَكْفُرْنَ العشير وما رأيت من ناقصاتِ عقلٍ ودين أغلبَ لذي لبٍّ مِنْكُن". قالت يا رسول الله وما نقصانُ العقل والدين؟ قال: "أما نُقصانُ العقل فشهادة امرأتين تعْدِلُ شهادةَ رَجُل فهذا نقصان العقل، وتَمكثُ الليالي ما تُصلي وتُفطر في رمضان فهذا نقصان الدين". (رواه مسلم في صحيحه).

للوهلة الأولى قد يظن الإنسان خطأ أن الحديث يستهين بالمرأة ويعتبرها ناقصة القدرات العقلية والتفكير، لكنه ﷺ لا يعني الانتقاص كونه لم يكن يصف كل النساء بل يقول أن ناقصات العقل والدين هن اللواتي يذهبن بعقل الرجل الحازم، أما المرأة التامة العقل والدين فلا تذهب بعقل الرجل بل تعينه على لبّه وتكمل عقله بعقلها وتعينه على ما هو مصلحة لعقله وخيره. اللواتي يغلّبن العواطف على العقول هن ناقصات العقل والدين. يوضح تدبّر الحديث ومعرفة مناسبته ما يلي:

١/ . المناسبة التي قيل فيها الحديث كانت في عيد، ومن معرفة السيرة النبوية واللطف والرحمة والحكمة الدائمة في كلام النبيُّ ﷺ أنه لا يتأتى للنبي المعصوم عن سوء التصرف والذي كل كلامه وحي يوحى، لا يمكن أن يعمد في أي مناسبة سعيدة كالعيد، إلى الإساءة للنساء بل وتعميم الإساءة عليهن جميعاً مواجهةً وهو جاد، وهو الذي يدعو للرفق ولين القول والتلطف خاصة مع النساء. هذا يعني أن سياق كلامه لم يكن يقصد التقريع أو التقليل من شأن المسلمات ، بل كان كلامه يحمل مضمون المرح والمداعبة لإثارة الانتباه والتمهيد الباسم لموعظة صعبة خاصة للنساء.

٢/ . صياغة الحديث ليست صيغة تقرير لقاعدة عامة أو حكم على جميع النساء، وإنَّما هي صياغة تعجب من التناقض القائم في ظاهرة تغلُّب النساء على الرجال ذوي الحزم رغم ضعفهن الجسدي، أي أنه كان يقول: عجباً لكنّ أيتها النساء فأنتن في ظاهركن ضعيفات الجسد ناقصات الخبرة العملية وتسقط عنكن بعض الصلاة والصيام، ومع ذلك فأنتن تغلبن اللبيب الفطن الأكثر قوة وحجماً. وهذا ما يسمى بالمديح من خلال التعجب، كأن نقول للطفل الأصغر في الأسرة: أنت أيها الضعيف تتحكم بالجميع في الأسرة؟

٣/ . "تكفرن العشير" أي تنكرن حق من تعاشرن، فالكُفْر هو تَغطية الشيء فلا يعود ظاهراً. والعَشيرَ هو الذي يعاشر الإنسان ويعيش معه، كالزوج أو الأب أو غيره. وكما مرّ معنا في لغات التعبير، فإن لغة التواصل التي تستخدمها المرأة في التعبير عن انفعالها هي لغة التعميم والمفاضلة (كأن تقول: دوماً يحصل هذا، لم أشعر بهذا من قبل... إلخ)، وكأن النبي ﷺ قال: إنكن أيتها النساء، وبسبب انفعالكن العاطفي وردود أفعالكن عند الغضب والإحباط والقلق، فإنه يغيب عن إحداكن ما بذله العشير من أجل القيام على شؤونها وحمايتها، فتعبّر عن انفعالها بإلغاء كل ما كان قد عمله من أجلها، ولذلك وجب تنبيهكن كي لا تفعلن ذلك في لحظات الغضب والانفعال.

٤/ . عقلانية الرجل وضعف عاطفته مناسبة للأدوار التي يقوم بها وعاطفة المرأة وضعف عقلانيتها مناسبة للأدوار التي تقوم بها، ولا غنى لأحدهما عن التكامل مع الآخر، ولا تفاضل لأحدهما على الآخر بالعقلانية أو بالعاطفة. وكما أن العقلانية لها مواقف لا يصلح فيها استخدام سواها، وكذا العاطفة لها مواقف لا يصلح استخدام سواها. ولنذكر أن رواية تفاصيل حياته ﷺ كانت على لسان زوجاته، ووفاته كانت في حضن زوجته، فلا يمكن أن تكون نظرته لها دونية.

٥/ . ولنفهم ما هو المقصود بنقصان العقل، يجب أن نعرّف التفكير. التفكير عموماً هو القيام بعملية ذهنية يتفاعل فيها الإدراك الحِسّي مع الخبرة والذكاء لتحقيق هدف، ويحصل التفكير بدوافع وفي غياب الموانع أي معيقات ومشاكل التفكير والعقل. حيث إن:

- الإدراك الحسي هو ملاحظة الواقع بالحواس الخمس وفهمه.
- الخبرة هي ما اكتسبه الإنسان من معلومات حول البيئة المحيطة به.
- الذكاء هو قدرة الدماغ على القيام بالأعمال الذهنية كالمقارنة والترابط والتحليل والتركيب وغيرها.

حيث تؤكد الأبحاث العلمية حول الأداء الدماغي أن مهارات الإدراك الحسي والذكاء لا يظهر فيها اختلاف بين المرأة والرجل. أما الخبرة المكتسبة من البيئة فتختلف وفق البيئة التي يعيش فيها الإنسان، فإن كان يعمل خارج المنزل يومياً فمن الطبيعي أن تكون خبراته في هذا العمل أكثر، وهذا هو نقصان عقل المرأة في خبراتها المالية، ولذلك فشهادتها أقل ثقة من شهادة الرجل لقلة خبرتها فيها بينما هو يخوض غمار مجالات العمل المادية يومياً، فتأتي الآية: ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ﴾ (البقرة ٢٨٢). وهذا لا يمنع وجود استثناءات، فعمر بن الخطاب استعمل على إدارة سوق المسلمين امرأة اسمها الشفاء بنت عبد الله وجعلها قاضية للحسبة وشهادتها المالية كافية كونها خبيرة بأمور المحاسبة والتجارة غير أنها كانت حالة استثنائية لا تلغي الحكم الشرعي فالاستثناءً لا يُعمم.

أما في الأمور التي تزيد فيها خبرة المرأة عن الرجل، كالرضاعة مثلاً، فشهادة المرأة الواحدة في الرضاعة كافية ولا تؤخذ شهادة الرجل. إذاً، المقصود بهذا

الحديث ليس الانتقاص من المرأة، بل إثارة حماسها وتوجيهها نحو فعل الخير، وهذا ما كان، فزادت أعمال بر النساء وصدقاتهن وخيريتهن.

٤. الحديث الشريف الثاني:

روى الإمام أحمد الحديث الشريف: "لَا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ، وَلَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا" (صححه الألباني في صحيح الجامع).

هذا يعني أن سجود البشر لبشر ممنوع شرعاً، وأنه ﷺ لم يأمر المرأة أن تسجد لزوجها، ولذلك تسمى (لو) في هذا السياق في اللغة العربية: حرف امتناع لامتناع، أي امتنع جوابها الذي هو (لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) لامتناع شرطها الذي هو جواز السجود لبشر. وهذا يدل على أن الرسول ﷺ امتنع أن يأمر المرأة بالسجود لزوجها لأن السجود لمخلوق ممنوع شرعاً، وإنما هو تعبير عن الاحترام والامتنان لجهود الرجل في حماية الأسرة والإنفاق عليها والقيام على شؤونها، سجود تكريم لا سجود عبادة وتعظيم. ونرى مثالاً آخر على ذلك في قصة سجود إخوة يوسف عليه السلام ووالديه له، وهذا لم يكون سجود تعظيم أو عبادة بل سجود تكريم.

٥. الحديث الشريف الثالث:

بلغ السيدة عائشة رضي الله عنها أن أحد الصحابة قال: قال رسول الله ﷺ: "يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب"، فأرسلت له عائشة معنّفة مصحّحة: "شبهتمونا بالحمير والكلاب؟ والله لقد رأيت رسول الله يصلي وأنا على السرير بينه وبين القبلة مضطجعة فتبدو لي الحاجة فأكره أن أجلس فأوذي رسول الله، فأنسل من عند رجليه[1]". وإذا سمعنا حديثاً آخر لرسول الله ﷺ يقول فيه: "ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم"، فكيف نجمع بين الحديثين؟

---

(١) الإجابة لإيراد ما استدرآته عائشة على الصحابة (ص ١٧٠).

إن حديث السيدة عائشة لا يحمل أية أداة تشبيه بين الثلاثة المذكورة، بل إن العطف على معطوف يشترك بالأفعال في أحاديث العرب لا يعني المساواة ولا المطابقة بين الأشياء فقد ورد عن بعض الصحابة إشراك فعل نفسه بفعل الدابة إذ قال عمار بن ياسر: "بعثني رسول الله ﷺ في حاجة فأجنبت فلم أجد الماء، فتمرّغت في الصعيد كما تمرّغ الدابة" (البخاري ومسلم). لم يفهم أحد من الناس أنه يقصد تشبيه نفسه بالدابة، وهو مذموم، إذ أن لغة العرب لا تحتمل ذلك أبداً، بل هو الاشتراك بفعل الدابة.

ويقول مفسرو الحديث: إن من ساقط الظن وتافه القول أن يُظن أن المرأة في درجة هذه الدواب وإنما وجه الشبه المراد هو مجرد الاشتراك في فعل معين وهو التسبب بإخراج المصلي عن خشوعه وصلته بالله تعالى، خاصة أن المرور أمام المصلي ممنوع لكائن من كان، رجلاً أو امرأة، حيث قال ﷺ: "إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان" وهذا لا يعني أن الرجل نفسه شيطان، بل قال النووي: معناه إنما حمله على مروره الشيطان، يفعل فعل الشيطان. وقد قال القرطبي في ذلك الحديث أن المراد ليس إبطال الصلاة بل القطع عن كمالها والخشوع فيها بالاشتغال بغيرها والالتفات له، لأن المرأة تفتن والحمار ينهق (قد يكون قد رأى شيطاناً) والكلب الأسود يروِّع (كون الشيطان يتلبس به أحياناً)، فتشوّش على المتفكر في الصلاة وتفسد تركيزه.

٦. الحديث الشريف الرابع:

قال النبي ﷺ: "كَملَ من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد". وليس المقصود من الكمال هو كمال الخِلقة والصورة، فالكثيرات من النساء أجمل من الرجال، ولا المقصود كمال العقل لأنه قد كملت من النساء

كثيرات عبر العصور وفي العهد النبوي، ومنهن اللاتي كان النبي يشاورهن ويأخذ برأيهن. ولكن قال الصنعاني: الكمال الحقيقي هو في كمال الدين في كثير من الرجال واتصافهم بصفة النبوة، وهذا ليس زيادة في القيمة بل هو قدر الله وحكمته فاختيار الله للأنبياء رجالاً هو بسبب ما يعلمه الله من أن الأنبياء يتعرضون للكثير من الشدائد ما لا تحتمله المرأة، فقد قال ﷺ: "لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي" . ولعلم الله تعالى في أصل خلقه للرجل من أن الرجل هو الذي يقدر على أن يواجه ويجالد ويجاهد من يعاديه وأن المرأة غالباً لا تستطيع ذلك، وقد يحدث نادراً أن تستطيع، ولكن غالبية النساء لا تستطيع ذلك. وقد اختُلف في هؤلاء النساء اللاتي يقدرن على المواجهة والمجالدة، والاختلاف سببه أن الله تعالى قد خاطب بعضهن، وأن كمالهن هو في كمال التلقي عن الله تعالى كلاماً أو وحياً، وتكريم الله لهن واستقبال الملائكة الكرام رسلاً من الله تعالى، مثل امرأة عمران والسيدة مريم وأم موسى وحواء، ولذلك اختُلف في نبوتهن ونبوة غيرهن من الشخصيات القرآنية حيث يقول السيوطي رحمه الله انه قد اخُتلف في النقل فقيل لكل من لقمان، ذي القرنين، حواء، الخضر: ولي أو نبي أو رسول.

٧. شبهة تعدد زوجاته ﷺ:

ومن الشبهات التي نسمع بها تهجماً على رسول الله ﷺ واستهزاءً به، حاشاه وهو خير الخلق وسيد الأولين والآخرين، أن يُذكر تعدد زوجاته باستهزاء لا يليق بمن اصطفاه الله تعالى للعالمين، خاتم النبيين وإمام المرسلين. وسر هذا التعدد وفائدته للدعوة عظيمة لا يدركها إلا من يوقن أنه وحي يوحى، فقد كان إصهاره من قريش وقبائل العرب واليهود ذا أثر كبير في تأليف القلوب على الإسلام، أفادت منه الدعوة أكبر الفوائد في جمع الكلمة وتقريب الوحدة إذ ذاك. ولقد كان انتشار الإسلام ونهوض الرسول بتأسيس وحدة الأمة هدفين قويين يتحققان بتكثير بيوت النبي، فكثر الضيوف والمقبلون على الإسلام وتعددت أسباب إصهاره إلى

القبائل، ولم يكن في هذا الإصهار شيء من المتعة النفسية له، بل كان عبء تطلَّب من الرسول ﷺ رجولة معجزة، وصدراً رحباً، واتساع نفس. خاصة أنه كان عند اقترانه الثاني أكثر من الخمسين في العمر بعد أن بقي بلا زواج خمسة وعشرين عاماً بعد وفاة السيدة خديجة، علماً أنهن كلهن (عدا عائشة) كن ثيبات أرامل، وأعان الله رسوله على تحمل هذه الأعباء.

وقد تعددت الأهداف والحكمة من زواجه بكل منهن:

١- منهن من تزوجها للحكمة التعليمية للتعريف بالإسلام والتعليم من خلال الزوجة وأهل البيت وخاصة شؤون المرأة والأسرة وتربية الأطفال والحياة المنزلة (زوجته الشابة السيدة عائشة).

٢- منهن من تزوجها للحكمة التشريعية لإبطال عادة التبنّي (السيدة زينب).

٣- منهن من تزوجها للحكمة الاجتماعية في إكرام أهلها ومكافأة والدها (السيدة حفصة).

٤- منهن من تزوجها لحكمة اقتصادية كأرملة أنفق عليها وعلى عيالها (السيدة سودة بنت زمعة).

٥- منهن من تزوجها للحكمة السياسية لتؤلف المصاهرة بين قلوب الناس على مستوى العشائر والقبائل (السيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان).

٦- منهن من تزوجها للحكمة الدينية لتقريب الأقوام من الإسلام: النصرانية (السيدة مارية القبطية) واليهودية (السيدة صفية بنت حيي).

وكان من ذلك أن تمت وحدة المسلمين، وتألفت القلوب، وتغلب النبي ﷺ على نفرة القبائل بهذا الإصهار، وضمن من بعده لأمته مدارس لنشر العلم والسنة يتعلم بها المسذلمون من كل الأعراق، وهم الذين أعدهم الله لإنقاذ الإنسانية. ولو كان من أهدافه شيء من المتعة لنفسه لما تلا آيات يحرّم بها على نفسه ما أباح

لأمته، إذ قال تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ (الأحزاب ٥٢)، وبذلك فقد حُرم عليه أن يطلق زوجة أو يتزوج زيادة عليهن، وهذا ما يمكن لأي من أمته.

خلاصة القول هو أن إنصاف القرآن الكريم والسنة المطهرة للمرأة ومكانتها جليّ، باعتبارها كائن مستقل له هدف حياة ذاتي ودور أساسي في أسرته ومجتمعه. وكلما ابتعدنا عن المفاهيم الصحيحة في القرآن والسنة فإننا سنظل نعاني من التبعات والنتائج إلى أن نتيقن تماماً من عدل الله تعالى وأن صالحنا وخيرنا هو فقط فيما اختاره الله تعالى لنا دون سواه.

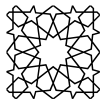

الفصل الثامن

بقايا الجاهلية

ممارسات سلبية في مجتمعنا ناتجة عن فهم خاطئ لتشريعات متعلقة بالمرأة والرجل:

هناك ممارسات سلبية خاطئة في مجتمعنا مبنية على فهم خاطئ للشرع الإسلامي، والذي لا يوجد نص قانوني أو اجتماعي يمكن أن يعادله عدلاً ولا رقياً وتفهماً للحاجات النفسية والجسدية والروحية الإنسانية، وإكراماً للإنسان بنوعيه: الذكر والأنثى. ولعل من هذه الممارسات الخاطئة ما يكون بسيطاً غير أن نتائجه شديدة ومؤثرة في أنفسنا وصولاً حتى للعقيدة والعلاقة مع الله. لذلك من الضروري أن نسلط الضوء على بعض هذه الممارسات المتعلقة بالأسرة بشكل عام والمرأة بشكل خاص تمهيداً للتخلص منها والعودة عنها إلى سماحة الإسلام وعدله ولطفه. ومن هذه الممارسات ما يلي:

١. النظرة للمرأة عموماً:

ينظر البعض للمرأة وكأنها سر ينبغي أن يخبأ، فلا يذكر اسمها على العلن أمام الرجال ولا على نعوات الموتى (إلا إن كانت هي المتوفاة!)، ولا يسمح لها بالمشي بجانبه في طريق ولا تصحبه إلى مكان عام ولا يتحدث عنها أمام الناس، في حين أن في حياة النبي ﷺ مواقف متعددة معاكسة لهذه الممارسات تماماً، فالنبي ﷺ كان يذكر اسم عائشة وغيرها من النساء علناً، بل ومزاحاً (عويش!) وكان يمشي مع أي من زوجاته في الطريق والأماكن العامة (قصة مشيه ليلاً مع زوجته صفية بنت حيي)، وكان يتحدث عن زوجاته ويذكر أسماءهن وأفعالهن بشكل طبيعي.

٢. النظرة لخطأ ارتكبته المرأة:

إذا وقعت المرأة في معصية كبرى فمصيرها احتقار المجتمع لها، حتى وإن بدت توبتها، بل وربما تُقتل لغسل العار الذي لحق بعائلتها، أما الشاب الذي يرتكب نفس المعصية فالمجتمع يجد له الأعذار ويسامحه كونه رجل مجبول على طبع المغامرة وإشباع الرغبة. ذلك في حين أن النبي ﷺ تعامل مع معصية المرأة تماماً كما تعامل مع معصية الرجل، كقصة المرأة الغامدية وقصة ماعز بن مالك وكلاهما في عهد النبي ﷺ، فالذنب واحد والعقوبة واحدة وقبول الله للتوبة واحد للمرأة وللرجل.

٣. الحديث مع الزوجة وعنها:

ينظر البعض في مجتمعنا إلى أن جلوس الرجل في المنزل وحديثه مع زوجته أمر ممل ينقص من رجولته ويضعف عقله كونه يتحدث إلى امرأة، مما يعني أن الحديث منخفض القيمة والنفع ولا جدوى منه ولا حتى للتسلية، فيكون في داخل منزله منقبض الوجه والأسارير غليظاً متوتراً، حتى إذا خرج للناس ظهرت البشاشة واللطف والشهامة، خاصة مع بقية نساء العالم، في حين أن النبي ﷺ كان على العكس من ذلك تماماً: يجلس إلى زوجاته ويسامرهن بشكل منفرد أو كمجموعة، ويستمع إلى إحداهن وهي تحدثه عما سمعت وشاهدت بشكل جدي أو بمزاح ومرح، ويعتبر ذلك من واجباته كرجل وزوج وأب، وكان ألطف ما يكون مع أهل بيته (حديث أم زرع، حديث "كيف العقدة؟ هي على حالها").

٤. الميراث والمهر:

يظن البعض أنه يجب ألا يذهب مال المرأة وميراثها إليها، وإلا ضاع سدى، ويجب أن تدفع مهرها لأبيها او أخيها، بل ألا يصل إلى يدها أساساً، إرضاء

لوالديها أو ضغطاً وتخويفاً من أن ينصب غضب الله عليها. ذلك في حين أن الشرع حرم بنص الآية الصريحة ألا يأخذ أحد مالها إلا عن تبرعت هي به عن طيب نفس، وكل ممارسة عدا ذلك حرام. قال عليه الصلاة والسلام: " اللهم إني أحرّج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة"[1].

٥. فوضى تعدد الزوجات والظلم:

يظن البعض أنه يشترط للزوج أن يوضّح سبب رغبته بالزواج الثاني بشكل واضح ليبرهن على الضرورة. ويظن البعض الآخر أن الرجل يملك مطلق الحرية ويمكنه أن يسيء ويظلم زوجاته ولا يعدل ثم يفرّ بفعلته دون حساب ودون عقاب على التقصير. والظنان مخطئان، والصحيح هو:

○ يباح للرجل أن يعدّد بين أربع زوجات دون أن يصرّح بالسبب، فقد يتسبب التصريح في فضح أسرار زوجية وإساءة لأحد لزوجين. لذلك لا يشترط التصريح بالسبب، غير أن هذا لا يعني أن الأمر متروك لضميره وحده، بل يجب على القانون أن يحاسبه، كما أن حساب الله تعالى أدق من الذرة.

○ شرط التعدد هو شرط واحد: العدل بين الزوجات في النفقة والكسوة والسكنى (لكل زوجة سكنها المستقل) وأيام المبيت والهدية والعطر واللباس وحتى الكلمة والابتسامة. المحبة التي في القلب لا يملكها أحد، لكن السلوك هو ما يُحاسب المرء عليه ويُشترط عليه أداء الحقوق فيه، ومن خاف عدم أداء الحقوق يُحظر عليه الزواج الثاني، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ (النور ٣٣). فإن تزوج ولم يعدل فهو محاسب عند الله، كما قال ﷺ: "من كانت له امرأتان فمال إلى أحدهما جاء يوم القيامة وشقه مائل". كما أنه يجب أن يكون الرجل محاسباً في القضاء الإسلامي. يجب أن

(١) رياض الصالحين ص ١٣٠ عن أبي داوود بإسناد جيد.

يشترط القاضي الذي يعقد الزواج الثاني على الزوج أن يتعهد خطياً بأنه قادر مادياً على الإنفاق وأنه ملتزم بالشروط والآداب التي أمر الله تعالى بها المعدّد، فإن اشتكت إحدى الزوجات إخلاله بهذا التعهد تعرّض لعقاب صارم زاجر.

لا يصح أن نفترض الالتزام في كل الناس، بل لابد من وجود رادع قانوني وتشديد ومحاسبة لكل من لا يستجيب للقانون، كي لا يظن الناس أن بمقدورهم تعريض غيرهم الظلم ثم الفرار بفعلتهم، فإذا رأى الرجل جدية في حساب القضاء له وتعقب المخلّين في العدل والمتساهلين فيه ورأى كيف يتعرضون للمساءلة ويساقون إلى العقاب، فإنه سيراجع حساباته وربما يعود لنفسه ليتبين مدة حاجته الحقيقية لزوجة ثانية.

٦. التحيز في الهدايا والأعطيات:

من الناس من يعطي الأبناء الذكور من الهدايا والأعطيات دون الإناث، بحجة أن هذا المال سينتهي في يد أزواج البنات، وبذلك يضيع. وبالطبع فإن الضغائن والخلافات ستستشري بين الأبناء، عدا ما سيواجهه من حساب الله تعالى. "من كانت أنثى فلم يئدها ولم يُهنها ولم يؤثر ولده (يعني ابنه الذكر) عليها، أدخله الله الجنة". وقال عليه الصلاة والسلام: "ساووا بين أولادكم في العطية، فلو كنتُ مفضلاً أحداً لفضلتُ النساء"[1].

٧. مشاطرة الزوج زوجته في مالها:

يتورط بعض الرجال في هذا الذنب والذي سببه في الواقع هو جهل المرأة بحقوقها وواجباتها، واندفاعها وراء الرغبة بالحصول على مال إضافي لذاتها أو للأسرة، أو لأنها اعتادت على العمل والخروج من المنزل إلى الحياة المهنية

(١) الجامع الصغير نقلاً عن الطبراني والخطيب، وهو مروي عن ابن مسعود.

(رغم أنها غالباً ما تشتكي منها). فيعتاد الزوج وتعتاد الأسرة على ذلك المصدر الإضافي من المال، ويعتادوا على كون الأم مكلفة بالعمل خارج المنزل وداخله، وتمر السنين وهي تستهلك جسدها وأعصابها دون أن تؤدي واجبها الأساسي في إنشاء الجيل بشكل يضمن للأبناء أركان التربية الأربعة: الصحة الجسدية والعاطفية والعقلية والروحية. والفكرة الرئيسية التي يجب أن يفهمها الزوجان هي أن علاقتهما الزوجية غير مبنية أساساً على الشراكة في الإنفاق، فالأصل في السنة هو إنفاق الرجل على أسرته حتى لو كان فقيراً، وعلى الأسرة أن تقبل بذلك خير من المشاكل الناتجة عن المشاركة في الإنفاق، وتبقى لكل أسرة خصوصيتها وقدرة الزوجين فيها على التفكير في الفوائد والخسائر الناتجة عن قراراتهم بهذا الشأن.

٨. نظرة المرأة للسعادة والنجاح في الحياة:

البعض من النساء تنظر إلى سعادتها على أنها مرتبطة بأن تصبح محط الأنظار في مجتمعها، إما بسبب شهادة جامعية تحصل عليها، أو جمال أخاذ، أو مال تحصل به على رفاهيات، أو زواج رومانسي كما ترى في الأفلام، أو شهرة عظيمة يتجعلها اسمها على وسائل الإعلام. وهذه النظرة تأتي بسبب الطرق السائدة في التربية والرسائل المباشرة وغير المباشرة التي يوجهها الوالدان لأبنائهما والأهل والأصدقاء والإعلام. فمن الأمهات من لا يكاد يمر يوم دون أن تخبر ابنتها بأنها لن تفلح حتى تحقق حلم الزواج، أو أنها ستظل فاشلة إن لم تحصل على أعلى شهادة، أو وظيفة تؤمن لها دخلاً عالياً، وهذا كله أنواع نجاح وسعادة متقلبة مؤقتة شكلية وهمية مزيفة، لا تستمر لأبعد من زمن ما أو على الأكثر لفترة الحياة القصيرة على الأرض. وإن أصدق من يخبرنا بالمعنى الحقيقي للنجاح والسعادة هو الله تعالى في كتابه العزيز:

○ الناجح الفائز في نظر الله تعالى ورسوله هو المذكور في الآيات الكريمة والأحاديث:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة ٧٢).

▪ ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة ١٠٠).

▪ ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ (آل عمران، ١٨٥)

▪ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب ٧١).

▪ ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (الحديد ١٢).

○ السعيد في نظر الله تعالى ورسوله هو الموصوف في الآيات الكريمة والأحاديث:

▪ ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (طه: ١٣٠).

▪ ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (طه ١٢٣).

▪ ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ (طه ١-٢).

▪ ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس ٥٨).

▪ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ (الرعد ٢٨).

▪ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود ١٠٨).

▪ "من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله" (رواه الترمذي).

"أربعٌ من السعادة: المرأةُ الصالحة، والمسكنُ الواسِع، والجارُ الصالح، والمَرْكَب الهنيء، وأربعٌ من الشقاء: المرأة السوء، والجار السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيِّق" (أخرجه أحمد)، فكلمة "من السعادة" تعني أنها جزء من السعادة وليست كلها.

٩. نظرة المرأة إلى نفسها:

بسبب أخطاء تربوية، فإن بعض نساء تنظر إلى نفسها على أن قيمتها مستمدة من كونها لا تملك مواصفات الجمال التي يعتبرها المجتمع من حولها ضرورية، أو ليست من عائلة مشهورة، أو غير ذكية أو شعبيتها بين الناس ضعيفة. وفي الواقع، هناك مظاهر تميّز أنوثة المرأة حتى أمام نفسها ومظاهر تدمر هذه الأنوثة وتكسرها، وهذه المظاهر الخارجية هي نتائج دراسة نفسية اجتماعية قام بها مركز أبحاث في أحد الدول العربية، والهدف منها أن تلاحظ المرأة السمات الظاهرة والسلوكية التي تبرز جمالها الأنثوي والسمات التي قد تسيء إليه دون أن تشعر.

مظاهر الأنوثة:

١. طريقة الكلام الرقيقة اللطيفة اللينة في المنزل والطريقة الجدية خارج المنزل.
٢. عدم إخفاء الضعف والاحتياج النفسي المعنوي إلى قوة الطرف الآخر ودعمه.
٣. الاهتمام بنظافة جسدها وجمالها ونضارة وجهها ونعومتها وعطورها وزينتها بشكل غير مبالغ فيه.
٤. الاهتمام بالرياضة والحركة.
٥. مناداة الطرف الآخر بمسميات وصفية مادحة تُبدي التقدير.
٦. التعبير عن الامتنان للآخر وامتداح جهوده وتعبه.
٧. الذكاء المتغابي (قرار بإظهار نسبة ٣٠٪ من الغباء وطلب الدعم!).

٨. العفوية والتغيّر في المظهر الشخصي ومظهر البيت.
٩. المرح والابتسام وترطيب الأجواء المنزلية بالدفء العائلي المرح.
١٠. تجنب مدمرات الأنوثة مثل:
* العصبية والتوتر والصراخ والصوت العالي وخشونة الألفاظ.
* مسابقة الرجل إلى حل المشاكل وإثبات نجاحها في التنافس معه.
* اللامبالاة بالنظافة والمظهر العام وصحة البشرة والفم والأسنان.
وفي مقابل مظاهر الأنوثة هذه، نطلب من الرجل إظهار مظاهر الرجولة ومنها:
١. إظهار الدعم المعنوي للطرف الآخر، خاصة عند الطلب والتعبير عن الاحتياج.
٢. الاهتمام بنظافة الجسد والعطور واتخاذ الزينة تأسياً بالنبي ﷺ.
٣. الاهتمام بالرياضة والمظهر الصحي القوي للجسد.
٤. التحبب للآخر بالمناداة باللطف والمسميات الجميلة التي تعبّر عن المحبة.
٥. التعبير عن الامتنان للآخر وامتداح جهوده وتعبه والمساعدة في أعمال المنزل.
٦. احتواء المرأة ودعمها بالعقل عندما تغلبها عاطفتها.
٧. التغاضي عن تقصيرها إن حصل، من باب الاحتواء دون نظرة دونية.
٨. التواضع وعدم التكبر
٩. المرح والابتسام وكثرة الضحك تأسياً بالنبي ﷺ.
١٠. تجنب مدمرات الرجولة مثل:
* العصبية والتوتر والصراخ والصوت العالي وخشونة الألفاظ والتعامل.
* القعود عن العمل وكسب الرزق دون اضطرار، وانتظار المال من الزوجة.
* اللامبالاة بالنظافة والمظهر العام وصحة البشرة والفم والأسنان.
وعلينا جميعاً أن نذكر ما يلي:

* آراء الناس فينا ليست حقائق، بل هي تعبّر عن أذواقهم فقط.
* الله تعالى وحده هو الأدرى بما في قلوبنا وهو الأعلم بمن هو الأعلى مرتبة بناءً على حقيقة تقوانا.
* الأمور ليست بظاهرها، فلعل من نراه غير جدير بالإعجاب يكون في حقيقته عند الله من أوليائه والمقربين.
* حقيقة قيمة البشر ليست بأجسادهم ولا أموالهم، بل قيمتهم هي في قيمة أرواحهم وتقواها ومكانتها عند الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (البقرة ٢١٢).
* من النساء من تنظر إلى نفسها على أنها تابعة لشخص آخر، فهي زوجة فلان أو أم فلان أو ابنة فلان، فإذا فقدت هذا الزوج أو الابن أو الأب، فقدت سبب وجودها فماتت حزناً.
* إن الله تعالى يعرف كل عبد بنفسه، بناءً على علاقته بربه، وبالتالي فإن هوية الإنسان الحقيقية ليست متعلقة بأي شيء سوى علاقته بخالقه، وكل ما عدا ذلك هي أجزاء صغيرة من حياته، وليست حياته الكاملة وسبب وجوده.
* علاقة كل منا بالله تعالى وحدها هي سبب وهدف وجود كل إنسان، وليس انتماؤه لإنسان آخر.

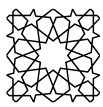

الفصل التاسع

النظام التكويني والنظام التشريعي

أول ما يجب أن نؤمن به، عندما نبدأ بتعلّم الشريعة، هو أن مشرّعها هو الله عز وجل، وهو الخالق العارف بدقائق الكائن البشري وحاجاته الروحية والجسدية والنفسية والعقلية. عندما نؤمن أن الله تعالى هو المشرع، فإننا نطمئن ونصل إلى الثقة التامة بعدل هذا التشريع وسلامته من أي نقص أو عيب، لأن واضعه هو الباري جل وعلا المنزّه عن نقائص البشر ومحدوديتهم.

١- معنى النظام التكويني والنظام التشريعي:

النظام التكويني والنظام التشريعي هما المعنيّان بقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ (الأعراف ٥٤)، وهما:

النظام التكويني: هو كل ما خلق الله تعالى في الكون من مخلوقات وفطرة وعلاقات تنسيقية بينها، أي كل الكائنات بما فيها من فطرة والتنسيق في العلاقات ما بينها، ومن ذلك الزمان والمكان الذي يعيش فيه الإنسان بما فيه من تقلب الفصول والمناخ والأرض وزروعها وكائناتها، والسماء وما فيها، والمحيطات وعوالمها. كل ذلك خُلق إكراماً للإنسان ولطفاً به وعوناً له على أداء هدف حياته في التعرّف على الله تعالى والإقرار بالعبودية له وتحقيق ذلك بالسلوك المُرضي له تعالى. إذاً:

النظام التكويني = مخلوقات + فطرتها + علاقاتها

النظام التشريعي: هو كافة التشريعات الإلهية التي نظم بها الله حياة الإنسان في هذه الدنيا وسخّر من خلالها الكون ليستمر إلى أمد معين، لإتاحة الفرصة

وتوفير البيئة المناسبة لامتحان الإنسان وفي نفس الوقت تمكينه وتيسير أدائه لهدفه الذي من أجله أُرسل إلى الأرض. هذه التشريعات هي التي يمكن للإنسان بتطبيقها أن يستخدم النظام التكويني الاستخدام الأمثل ليتمكن من تحقيق هدفه على الأرض. إذاً:

النظام التشريعي = التشريع الرباني + القوانين والسنن الإلهية

والله تعالى الذي أسعد الإنسان بالنظام التكويني لا يمكن أن يضع نظاماً تشريعياً يُشقيه ويستلب سعادته، فإذا عرف الإنسان الحكمة من نظام تشريعي معيّن فإنه يشعر بالطمأنينة، فإن غابت عنه حكمة نظام تشريع آخر، فإن الإيمان برحمة المشرّع وحسن الظن بعدله والثقة بحكمته واختياراته للمصلحة يعيد الطمأنينة والرضا للإنسان. فاطمئن وثق طالما أنك على صراط النظام التشريعي فالنتيجة حتماً النجاح، فإن وجدت ظلماً أو تعسفاً، فاعلم أنه من سوء إدراك الناس للتشريع وسوء تطبيقه.

من الناس من يقرّ بنظام الكون (لأنه لا سبيل لإنكار دقة ترتيبه وعظمة تنسيقه)، لكنهم يتذرعون بأن التطوير هو أساس الحضارة وأن لكل عصر خصائصه ومستلزماته ولذلك على المسلمين أن يعملوا على تطوير دينهم ليتماشى مع العصر وينسجم مع متطلباته من خلال الاجتهاد والتأويل والتعديل إلى ما يناسب "الحضارة الحديثة"، حتى لو وصلوا إلى ما يتناقض كلياً مع أصل الدين والمقاصد الشرعية الأساسية. ومن الأمثلة على تلك التعديلات المعاكسة للشرع:

* تعديل أحكام الميراث بتأويلات مخالفة للمقاصد الشرعية
* تعديل أحكام نفقة الزوج على الزوجة والأسرة وفق النظم الاقتصادية الحديثة.
* تعديل نصوص الحجاب وفق ما يناسب المجتمعات "المتفتحة".
* تعديل دور المرأة في الأسرة لتتعلق القوامة بالإنفاق.

* تعديل طرق التربية لتشمل معاني الحرية المطلقة والسماح بتجربة كل شيء.

وهذا ما لا يمكن للمؤمن الحق أن يفعله، فالإيمان بالرسالة المحمدية يشمل الإيمان بكونها ختام الرسالات وأكملها، وبالتالي عدم احتياجها للتعديل ولا الإضافة ولا الحذف، ومصداق ذلك الآية الكريمة: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ (المائدة٣).

٢- الفوائد العائدة على الإنسان من التناغم مع النظامين:

عندما يؤمن الإنسان بارتباط النظامين معاً ويفعّلهما معاً بتناغم وانسجام يجني فوائد جمة، وذلك بأن يتعامل مع النظام التكويني وفق النظام التشريعي، فيكون سلوكه اليومي في الحياة تطبيق مباشر لتشريع القرآن والسنة، ومن هذه الفوائد:

١- تحقيق هدف حياة الإنسان العام في التعرف على الله والوصول إلى علاقة طيبة راضية وحقيقية معه.

٢- تحقيق هدف حياة الإنسان الخاص وهو القيام بالدور المحدد الذي خصّه الله تعالى به دون غيره من الناس، سواء كان الأمومة، الأبوة، العمل، البناء، التدريس، أو أي مهارة أو موهبة مفيدة يتميّز فيها الإنسان ويفيد فيها نفسه وغيره.

٣- التعرف على رسول الله ﷺ وحبه ثم اتخاذه قدوة حقيقية في السلوك، فينتج حب النبي ﷺ للإنسان والنجاح دنيا وآخرة.

٤- تحقيق الرضا والسلام الداخلي والسعادة ليعيش الإنسان في جنة الدنيا (الصلة بالله) قبل الآخرة، رغم صعوبات الحياة.

٥- تشغيل أقصى طاقات الإبداع والإنجاز عند الإنسان والاستفادة منها في خيره وخير الكائنات من حولها.

٦- حصول الفرد على الصحة النفسية والفكرية والجسدية المطلوبة للتعرّف على الله والإيمان به.

٧- حصول الأسرة الإسلامية على التوازن والاستقرار المطلوب لتنشأ الأجيال في بيئة جيدة.

٨- حصول المجتمعات على أهداف الإسلام: العدل على الأرض والسلام والعيش الآمن والمساواة وانحسار الظلم.

٩- تطوير العلوم المختلفة والتكنولوجيا واستخدامها في تحسين نوعية عيش الإنسان لتتحسّن علاقته بربه وقيمه الإنسانية.

١٠- النجاح في امتحان الحياة والفوز يوم القيامة بالمكافأة الكبرى: حياة أبدية طيبة إلى جوار الله ورسوله الكريم وصحابته والطيبين من الناس. تلك هي الحياة الحقيقية المنشودة التي نعود فيها للموطن الأصلي، الجنة.

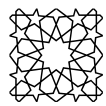

قواعد ذهبية واستنتاجات أساسية

١. الإنسان هو المخلوق الأول عند الله لأنه يوم عُرضت الأمانة على السماوات والأرض قَبِل الإنسان حمل الأمانة وبذلك كان عند الله المخلوق الأول المفضّل تكريماً والمُحاسَب مسؤوليةً.

٢. رُكّبت الملائكة من عقل بلا شهوة، ورُكّب الحيوان من شهوة بلا عقل، ورُكّب الإنسان من عقل وشهوة ليختار، فإن سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة، وإن سمت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان.

٣. الآية ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ تعني أن الله خلق البشر ليرحمهم، ليُسعدهم وليُطمئنهم ويُعلي قَدرهم، ليعيشوا في جنة عرضها السماوات والأرض.

٤. جاء الإنسان إلى الدنيا ليدفع ثمن مفتاح الجنة، فقط المفتاح لا أكثر، والمفتاح هو العبادة بعمل يصلح للعرض على الله.

٥. العبادة طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تُفضي إلى سعادة أبدية.

٦. ما عَبَدَ الله من أحبه ولم يُطعه، ولا عَبَدَ الله من أطاعه ولم يحبه.

٧. الدنيا دار مؤقتة، دار ابتلاء وليست دار قرار وراحة، وعلة وجودنا فيها هي التعرّف إلى الله من خلال آياته الكونية والتكوينية والقرآنية.

٨. جهل الإنسان يجعله يرتكب أخطاء كثيرة، والله يريد له السلامة، فتأتيه الرسائل من الله تعالى ليعود ويسلَم.

٩. إن حَرِصَ الإنسان على سلامته واستمراره وسعادته، عليه أن يتّبع تعليمات الصانع: الوحيد الخبير بما يصلح للإنسان.

١٠. أصل الدين معرفة الله، فإن وجد الإنسان ربه فقد وجد كل شيء وإن فاته ذلك فقد فاته كل شيء.

١١. سلامة الإنسان تأتي بالاستقامة على أمر الله، وسعادته تأتي بالإقبال على الله.

١٢. الحق هو الشيء الثابت والهادف. أما الباطل فزائل وعابث. الحق هو منهج الله وكتابه وبعثة الأنبياء.

١٣. ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ جنة القُرب في الدنيا، وجنة الخُلد في الآخرة.

١٤. رغم أن كل شيء بيد الله (الصحة والمرض، الغنى والفقر..) إلا أنه لم يرضَ أن نعبده بالإكراه، بل أراد أن تكون المحبة أصل العلاقة بيننا وبينه. فالحب لله هو أصل التوحيد، والحب مع الله هو عين الشرك، أي أن تحب جهة تُبعدك عن الله.

١٥. النفس الراضية: التي عرفت ربها واستقامت على أمره وتقرّبت إليه بالعمل الصالح وكانت أمينة على ما أُتمنت عليه.

١٦. النفس اللوامة: التي عندما تُخطيء تلوم ذاتها، وهو مقبولة عند الله لأنه الإنسان غير معصوم.

١٧. النفس الأمارة بالسوء: مصيرها شقاء الدنيا وشقاء الآخرة، وإصلاحها بترقيتها.

١٨. الدعوة إلى الله هي أفضل أنواع العمل على الإطلاق: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾. والدعوة إلى الله تكون بعشرات الطرق: بالكلام والحركة والسلوك والبيع والشراء والعلاقة بالزوجة والأبناء.

١٩. العبادات الشعائرية هي في الأركان الخمسة من صلاة وصوم وغيرها، والعبادات التعاملية هي العلاقات اليومية التي تبدأ من العلاقات الأسرية (أخص الخصوصيات) وتنتهي بالعلاقات الدولية.

٢٠. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ فالله لم يأمرنا بأمر إلا جَبَلَنا على محبته، ولم ينهانا عن أمر إلا فَطَرَنا على النفور منه: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ﴾ وهذا توافق الفطرة مع أوامر الشرع. فالضمير بوصلة داخلية توجّه الإنسان وتستجيب للأوامر وتكره المعاصي تلقائياً.

٢١. عندما يُسمح لك أن تكون على صلة بالله فأنت أسعد الناس، وإذا لم تصل إلى: "ليس على الأرض من هو أسعد مني إلا أن يكون أتقى مني" فأنت لم تحظَ بمعية الله تعالى بعد، أصل الكمال والجمال والنوال.

٢٢. لم يسمح الله تعالى للدنيا أن تمد الإنسان بسعادة مستمرة بل جعل اللذة حسية متعلقة بعوامل الصحة والوقت والمال، وجعلها متراوحة: في بداية العمر، عند الإنسان صحة ووقت ولا مال. في وسط العمر، عنده مال وصحة ولا وقت. وفي ختام العمر، يملك مالاً ووقتاً ولا صحة. فاللذة لا تكتمل، أما السعادة فليست متعلقة بالحسّ بل بالروح: أن تكون لك مع الله صلة.

٢٣. الشهوات: ما من شهوة أودعت في الإنسان إلا جعل الله تعالى لها قناة نظيفة طاهرة تسري خلالها، فالشهوات قوى دافعة لم توضع في الإنسان إلا لتقوده إلى الله، فالإسلام ليس فيه حرمان، والمؤمن يرضى بما سمح له الله به من تصريف للشهوات.

٢٤. إذا افترضنا أن الشهوات ١٠٠ درجة ، فإن ٩٠ منها حلال والباقي محرّم، فإن كان المرء ممن يحبون الله ويحرصون على رضاه، فإنه يبقى في حدود النسبة الحلال، أما من يريد أن يعصي الله فيختار ليذهب للقليل المحرّم، أي ١٠.

٢٥. المكاره تُثَمِّن العمل والأمور الصعبة على النفس ثمنها الجنة، فطول النوم والراحة مما تحب النفس، لكن من ينزع اللحاف ويقوم إلى صلاة الفجر فقد أثبت انه يحب الله تعالى أكثر من راحته.

٢٦. الإنسان يسعى إلى ثلاث: سلامته (يحصّلها بالاستقامة)، وكمال وجوده (يحصّله بالعمل الصالح) ، واستمراره (بتربية الأبناء).

٢٧. لابد من أن يكون الأب والأم الأصل الأول في توجيه الأولاد. فالأب الصادق والأم الصادقة قدوات لأولادهم، فالقدوة قبل الدعوة، الإحسان قبل البيان، الأصول قبل الفروع، المضامين قبل العناوين، المبادئ لا الأشخاص: استقيموا يُستَقم بكم.

٢٨. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ أي ألحقنا بهم أعمال ذريتهم، لأن الوالدان ربيا أولادهما على الخير.

٢٩. عندما يجتهد الوالدان ثم يسير الابن في طريق الباطل، فالأصل أن نبدأ بتربية الأولاد من يوم الولادة إلى نهاية السبع سنوات، عندها في أغلب الظن تكون نتائجه جيدة، أما من ينتبه إلى ابنه بعد المراهقة، فعلى الغالب أن ينحرف.

٣٠. المحرمات تتناقض مع الفطرة فلا يرتاح لها القلب، تلك هي الجبلّة والبرمجة والتوليف لعقل الإنسان بأن يتوافق الأمر الإلهي مع الفطرة. أما من لا يملك الرغبة بالخير لذاته فهو غير سوي، من يختار الشر والأذى لغيره يحتاج إلى حاضنة إيمانية: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾أي لابد من صديق مؤمن وبيئة طيبة حتى يذوق طعم القرب من الله.

٣١. المرحلة المكية محذوفة من حياتنا، فالإيمان ضعيف، أما المرحلة المدنية المتعلقة بالأحكام فنحن نتمسك بها في صلاة وصيام ومظاهر خارجية دون أن نهتم بعمق الإيمان وثباته في دواخلنا.

٣٢. عندما يُخلص الإنسان ويذوق طعم القرب فلا يمكن أن يجازف بقطع الصلة بالله وفقدان حلاوة القرب. فمن لا يهمه قطع الصلة فهذا يعني أنه لم يتذوق طعم القرب من الله تعالى بعد.

٣٣. الإسلام الفردي له ثلاث دوائر: دائرة نفسك ثم أسرتك ثم عملك، فإن أقمت فيها شرع الله لأنك تملك فيها القرار ومسؤوليتها عليك، قطفت كل ثمار الدين الفردية بدليل ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾.

٣٤. الإسلام الجماعي: بعد أن تغطي دوائرك الفردية، تتسع الحلقة الصغيرة لتسع مع أسرتك أسرة أخرى، ثم أخرى، فيصبح الإسلام جماعياً. وإن لم يستقم المجتمع، على المرء أن يبقى قابضاً على دينه.

٣٥. الأمة قيمتها تتجلى في إنكار المنكر، وهو الفريضة السادسة، فإن تعطلت انتهت أخلاق المجتمع وقيمته.

٣٦. الله تعالى غنيّ عنا لكنه لا يعاملنا إلا وفق تحقيق احتياجاتنا، أفلا يُخطب ود هذا الإله؟

من دروس الشيخ محمد راتب النابلسي

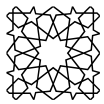

المراجع ومصادر الإحصائيات

١- القرآن الكريم.

٢- السنة الشريفة في صحيحي البخاري ومسلم.

٣- المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني، د. محمد رمضان البوطي.

٤- الرجال من المريخ والنساء من الزهرة، د. جون غري، معالج استشاري في الأكاديمية الوطنية للمعالجين المرخّصين والجمعية الأمريكية للاستشاريين.

٥- أدب القاضي، الماوردي: ١/ ٢٦٤.

٦- الطريق نحو المساواة في النوع الاجتماعي، صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة، مطبوعات الوكالة الألمانية للمساعدات، مشروع تعزيز المرأة ٢٠٠٨.

٧- أبعاد النوع الاجتماعي في مركز وزارة التربية والتعليم ومديرياتها، صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة، مطبوعات المكتب الإقليمي للدول العربية، ٢٠٠٧.

٨- نظرية الاجتماعية وقضايا المجتمع : صراع الحضارات على ساحة المرأة والشباب، د. علي ليلة، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠١٥.

٩- تقارير مركز الدراسات السياسية، القاهرة، بحث عام ٢٠١٠.

١٠- تقرير الفجوة في الأجور للعاملين من الجنسين بدوام كامل وعلى مدار العام (FTYR) الصادر عن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لعام ٢٠٠٩.

١١- تقرير وإحصاءات سوق العمل الصادر عن الحكومة اليابانية لعام ٢٠١٥.

١٢- تقرير المكتب الاسترالي للإحصاء حول الفجوة في الأجور بين الجنسين لعام ٢٠١٥.

١٣- البيانات الإحصائية حول التسويق العالمي لعام ٢٠١٨:
www.marketingcharts.com
١٤- شعبة الإحصاءات الاجتماعية والتركيبة السكانية التابعة للأمم المتحدة:
UN Department of Economic and Social Affairs, Statistics Division
١٥- دراسة " الأبعاد الدولية لقضايا المرأة والطفل" في مركز الدراسات المعرفية، لجنة المرأة والطفل باللجنة الإسلامية العالمية للإغاثة.
١٦- الفردوس المستعار والفردوس المستعاد، د. أحمد خيري العمري.
١٧- مكتب التعداد والإحصاء في الولايات المتحدة US Census Bureau.
١٨- مطبوعات الأبحاث العلمية في المجلة العلمية المعتمدة: السيكولوجية المجتمعية وعلم نفس الشخصية: Social Psychology & Personality Science.
١٩- أبحاث د.جان تونغ ود.كيث كامبل (من علماء النفس في جامعتي ميتشيغان وشيكاغو) حول: وباء النرجسية.
٢٠- موقع الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القس: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - الإسكندرية – مصر.
٢١- بيان قواعد الإرث عند اليهود، د. محمد يوسف موسى.
٢٢- الموسوعة اليهودية Jewish Encyclopedia.
٢٣- إحصاءات ٢٠١٥، المركز الوطني للصحة National Center for Health Statistics جامعة إنديانا، أمريكا http://kinseyinstitute.org.
٢٤- أبحاث في مركز Illicit Encounters المتخصص في تيسير علاقات عاطفية خارج الزواج للمتزوجين، في أمريكا وبريطانيا.
٢٥- دراسات أرشفة السلوك الجنسي في جامعة سان دييغو في مقارنة الفهم المجتمعي للسلوك الجنسي عبر الأجيال:Archives of Sexual Behavior.

٢٦- دراسة إحصائية نفسية في مركز أبحاث الرأي الوطني بجامعة شيكاغو National Opinion Research Center(NORC) حول السلوكيات المجتمعية.

http://www.norc.org/Research/Projects/Pages/general-social-survey.

٢٧- إحصاءات مركز دراسات العقل الإحصائي في لوس آنجلوس.

https://www.statisticbrain.com/infidelity-statistics.

الفهرس

مقدمة ٣

الفصل الأول: مصدر واجبات المرأة والمساواة الإنسانية ٥

- هدف الحياة المشترك بين الرجل والمرأة: العبودية لله تعالى ٥

- مساواة القيمة الإنسانية وتكريم المرأة في الإسلام ١٤

العلم الشرعي ١٧

الفصل الثاني: الفروقات النفسية والفكرية بين الرجل والمرأة ١٩

- فوائد التعرف على الفروقات الفكرية والنفسية بين الجنسين ١٩

- الفروقات الفكرية والنفسية وأمثلة واقعية عليها ٢٠

خلاصة النصائح ٣٠

الفصل الثالث: مقارنة بين حقوق المرأة في الإسلام والغرب ٣٣

- لحقوق العامة والخاصة للمرأة في الإسلام وفي العالم الغربي ٣٣

معنى "تشييء" المرأة في وسائل الإعلام الغربية ٥٦

الفصل الرابع: المرأة والرجل والحب ٦٣

- المعنى العام للحب في علم النفس ٦٣

- الحب الإعلامي ٦٣

- الحب الحقيقي ومقارنته بالحب المزيف ٦٥

الحب المطلق ٦٨

الفصل الخامس: مرحلة ما قبل الزواج ٧٥

- اتخاذ الأسباب قبل الزواج ٧٥
ترتيب مراحل الخطبة والزواج على الطريقة النبوية ٨٢
الفصل السادس: حقوق المرأة في التفاوت والمساواة ٩٩
- الحقوق الاجتماعية للمرأة في الإسلام ومقارنة بالغرب: ٩٩
- القوامة ١٠١
- الميراث ١٠٧
- تعدد الزوجات ١٠٩
- النشوز ١١٤
- الطلاق ١٢٢
- الحجاب ١٢٦
الفصل السابع: فهم خاطئ لآيات وأحاديث متعلقة بالمرأة ١٣٣
الفصل الثامن: بقايا من العادات الجاهلية ١٤٥
الفصل التاسع: النظامان التكويني والتشريعي ١٥٥
معنى النظام التكويني والتشريعي وفوائد تناغم النظامين ١٥٥
قواعد ذهبية واستنتاجات أساسية ١٥٩
المراجع ١٦٤
الفهرس ١٦٧